مشروع القرن الثقافى

روايات مصرية للجيب

فى كل رواية متعة دائمة



56

ليالٍ عربية

د. أحمد خالد توفيق

مقدمة

(عبير عبد الرحمن) شخصية عادية إلى حد غير مسبوق .. إلى حد يخطف الأبصار .. إنها الشخص الذى نتمنى ألا نكونه حين نتحدث عن أنفسنا .. الشخص الذى لا يتفوق فى الجمال أو القوة أو البراعة أو الذكاء .. لكن لابد من شىء ما يميزها وإلا لعاشت وماتت دون أن نسمع عنها .. ثمة أبطال قصص يمتازون بالقوة .. ثمة أبطال يمتازون بالذكاء الخارق .. ثمة أبطال يمتازون بالحظ العاثر .. ثمة أبطال يمتازون بأنهم لا يمتازون بشىء .. ويبدو أن (عبير) من هذه الفئة الأخيرة ..

فى نقطة واحدة تفوقت (عبير) علينا .. إنها تملك ذلك الخيال الشاسع بحجم المحيط ، وتملك فكرة عن أكثر العوالم الخيالية التى أبدعتها قريحة الأدباء والفنانين والسينمائيين ومصممى الألعاب ، كما أنها امتلكت ذلك الجهاز الغريب الذى يولد الأحلام ، والذى لا يصلح إلا لها فى الواقع ، وبهذا غدت أول مخلوق بشرى يستطيع ارتياد تلك العوالم الساحرة ، بل يشارك فيها كذلك .. ومن البديهى أن (عبير) صارت تنتمى لـ (فانتازيا) أكثر مما تنتمى لعالمنا .. وبالنسبة لها لم تعد مشاكل الواقع إلا منغصات تتخلل فترات الحلم الأكبر الدائم فى (فانتازيا) ...

إن (عبير) كريمة النفس ، لهذا لن تتركنا هنا وحدنا مع واقع لا يتغير .. سوف تصحبنا فى رحلتها . سوف نعبر معها

عالم المرآة الساحر مثلما فعلت (أليس) يومًا ما .. سوف تقابل – ونحن معها – العبقرى المخيف (دستويفسكى) وتجلس فى مجلس واحد مع (أرشميدس) و(الخوارزمى) و(أينشتاين) .. سوف يشرح لها (فرويد) نظرياته وهو يدخن غليونه الذى أصابه بالسرطان .. سوف تمشى مع (أفلاطون) فى بستان مدرسته .. ستحلق مع (طرزان) فوق قمم الأشجار السامقة ، وتثب مع الرجل العنكبوت من فوق ناطحات السحاب .. ربما تخدعها الساحرة الشريرة كى تلتهم التفاحة ، أو تهدد المقصلة عنقها ، ولربما تضع قدميها على تربة المريخ الحمراء ، أو تغطس فى كرة أعماق الدكتور (بيب) .. ربما تفتح قبر (توت عنخ آمون) أو تحارب جحافل المغول ..

إنها (فانتازيا) حيث القواعد الوحيدة للعبة هى : لا قواعد .. وحيث الحدود الوحيدة لرقعة الخيال هى : لا حدود ..

إن جرس المحطة يدق ، والبخار يتصاعد من مدخنة القطار .. والمرشد الملول الذى يرشدها فى أنحاء (فانتازيا) يقف نافد الصبر على باب القطار .. فلنتخذ مقاعدنا بسرعة ..

لقد حان موعد قصة أخرى ..

1 ـ ما أقسى الوحدة !

محاولات لا تنتهى من (شريف) لاستعادتها ، حتى بدأت تشعر بأنه ليس على ما يرام .. هذا الإصرار غير طبيعى ويعكس طفولة لا شك فيها ، أو ربما هو العناد .. الرجال يكشفون عن طبيعة طفولية مزعجة جدًا عندما ترفضهم المرأة ، حتى ليوشكوا على أن يرتموا على الأرض ويركلوها بأقدامهم ويبكوا ..

بصراحة .. لم تسأل نفسها قط إن كانت ترغب فى العودة له أم لا . لقد استراحت لعملها وحياتها .. وبدا لها أنه من الممكن أن تستمر هكذا للأبد ...

سوف تربى ابنتها وتأخذها للمدرسة ، وفى المساء سوف تشرح لها ما استغلق عليها من دروس .. وسوف تراقبها تنمو يومًا بعد يوم ثم تزوجها وتعيش وحدها ، إلى أن يجدوها ميتة يومًا ما .. هذه هى حياتها كما خططت لها وكما لا ترى طريقًا آخر ...

على الأقل هى تملك نوعًا ساحرًا من سبل الهروب هو (فانتازيا) .. فى النهاية عندما تموت ، سوف تقول لنفسها لحظة الاحتضار : إنها عاشت ألف حياة وحياة ... لقد عاشت فى

عمر واحد ما عاشه ألوف البشر وما لم يعيشوه أيضًا .. قليل من البشر من يفخر بأنه تواثب فوق الأشجار مع طرزان أو كان مع هانيبال فى حملته العظيمة .. هى فعلت .. هل كان هذا خيالاً ؟.. الخيال الذى تتألم فيه وتشعر بالبرد والنشوة والألم والشبع والرضا والتوتر ليس خيالاً بالضبط .. ما الواقع غير هذا ؟

لماذا يجب أن يوجد رجل فى هذا ؟

ابنته ؟.. يمكنه أن يرى ابنته إذا شاء .. لكنها تعرف الرجال .. سوف يحتضن الطفلة فى حنان ويغمرها بقبلاته ، ويبتاع لها لعبة أو لعبتين ، ثم ينسى كل شىء عنها بعد ذلك . عواطفهم خفيفة سطحية غير راسخة ... قد تكون الأنثى غامضة لا تعرف ما تريده حقًا ، لكن حبها أكيد وراسخ ...

ظلت تعتقد هذا حتى تلك الليلة .. تلك الليلة .....

* * *

كان هذا شهر رمضان ..

لقد تناولت بضع لقيمات هى السحور ، وبالطبع لم تأكل أمها معها لأن حالتها الصحية لا تسمح لها بالصيام .. شربت كوب

الشاى الجميل ثم دخلت الفراش وقدرت أن صوت التسابيح من الزاوية القريبة سوف يوقظها عند الفجر ..

كانت نائمة بعمق تحلم بساحل أفريقيا والأسود كما كان ذلك الصياد فى قصة (العجوز والبحر) . سمعت صوت الشهيق العنيف .. بالطبع دخل هذا الصوت إلى عوالم الحلم ، ثم أفاقت لتدرك أنها فى فراشها الصغير الملاصق للجدار ، غارقة وسط الكتب طبعًا ، وأن الصوت قادم من الغرفة الأخرى حيث أمها ..

وثبت من الفراش ، وقد اضطرب قلبها لأن الدم تجمع فى قدميها .. لكنها تماسكت وهرعت إلى هناك ..

كانت الأم تشهق فى ذعر محاولة انتزاع أنفاسها من قبضة بخيلة لا تريد التخلى عن شىء ..

هاااااااااااااااااااااااااه !

الذعر فى العينين العجوزين .. ومن الواضح أنها لا ترى تقريبًا ...

لو لم يكن هذا منظر امرأة تموت فما هو ؟

هاااااااااااااااااااااه !

لم تعرف عبير ما تفعل ولا كيف تتصرف..

هكذا هرعت باكية وبقميص النوم والقدمين الحافيتين تركض فى الشارع. من مكان ما برزت جارة ومن مكان آخر برز أحد الشبان أقوياء البنية حافيًا بفانلته الداخلية .. هذا النمط الذى يربط ساعده بالضمادات ويبدو أنه جاء العالم ليحمل الناس متوفين أو مرضى .. سرعان ما تكونت مظاهرة صغيرة ويبدو أن هناك من طلب الإسعاف .. سوف يصل غدًا طبعًا لأن الخدمات قد تحسنت كثيرًا ...

الأم تختنق .. لابد من عمل شىء ..

هنا أدركت عبير سحر مصر الذى يجعل الناس لا يكرهونها مهما حدث لهم .. أنت لست وحيدًا أبدًا فى مصر .. ربما تتضايق من هذا فى الظروف العادية ، لكنك بالتأكيد لا تحتاج إلى أن تكون وحيدًا عندما تكون أمك ـ لا سمح الله ـ موشكة على الاختناق ...

هرع الشباب الحفاة الذين يلبسون الفانلة الداخلية ويربطون سواعدهم ، ليصنعوا محفة بدائية يضعون عليها الأم ليحملوها إلى المستشفى القريب .. لا وقت لانتظار الإسعاف طبعًا ، وتطوعت

بعض الجارات بالصراخ والعويل والذعر .... بعض الجارات تطوعن بالعناية بابنة (عبير) التى لم تصح من نومها بعد ..

هكذا وجدت (عبير) نفسها فى المستشفى تراقب الأطباء يجرون تخطيط قلب لأمها ، وقد بدا التوتر على الوجوه ... عينات دم .. قناع أكسجين على الوجه المجعد الحبيب ..

سدة رئوية .. هذا هو ما سمعته من الأطباء .. لا تعرف معنى ذلك لكنه مخيف بما يكفى .. جلطة فى الساق انفصلت قطعة منها ودارت مع الدم لتنحشر فى الشريان الرئوى ...

قال لها الطبيب إن أمها سعيدة الحظ ، لأن الجلطة صغيرة الحجم ولسوف يتمكنون من إذابتها .. فى المعتاد تقتل هذه الجلطات المريض بسرعة البرق لو كانت ضخمة ..

جلست أمام غرفة العناية المركزة وقد تخلت عنها ساقاها .. كانت إحدى الجارات قد أحضرت لها ثيابًا تصلح للخروج ...

كان من الممكن أن يكون هذا هو اليوم ..

كان من الممكن أن يكون هذا هو اليوم ..

بمعجزة ما أفلتت من الكارثة ..

وارتجفت هلعًا وهى تفكر فى البيت الخالى الموحش .. لا أحد يقطف الملوخية فى المطبخ أو يحشو أصابع الكرنب. لا أحد يسألها عما فعلته أو يلومها أو يكلفها بشراء شىء من على الناصية ...

سيكون هذا قاسيًا .. سيكون مرعبًا ..

إن لديها ابنتها ، ولكن (عبير) تعتبر نفسها طفلة ما زالت بحاجة إلى من يعنى بها .. لا تتصور أن تعنى بكائن آخر وحدها ..

الوحدة .. الوحدة .. هذا شىء مخيف ...

تراقب وجه أمها خلف قناع الأكسجين .. وتقول لنفسها : إنها لن تستطيع أن تعيش وحيدة .. لهذا يتزوج الناس كى لا يجدوا أنفسهم فى بيت خال مظلم .. ترى هل يمر (شريف) بذات المخاوف ؟.. هل يخشى أن يجد نفسه وحيدًا فجأة ؟

وهى ؟.. هل ستعيش من دون زواج حقًا ؟.. الفكرة التى بدت لها منطقية جدًا أمس تبدو اليوم سخيفة جدًا .. طفولية للغاية ..

* * *

عندما انتهت تلك الأيام السوداء ، وعندما عادت أمها للبيت استقبلتها الحارة استقبال الفاتحين .. لم يخل البيت لحظة من (أم عصام) و(أم رشا) و(أم حماده) .. كلهن هناك ، وقد اكتسبن صلاحيات غير مسبوقة فصار بوسع أية واحدة أن تدخل البيت متى شاءت أو تعد الطعام فى المطبخ أو تفتح الثلاجة ..

وبرغم أن (عبير) لا تميل للناس كثيرًا ، فقد أحبت كثيرًا هذا الزحام .. الزحام الذى يضيع فيه أى شىء حتى نفسها .. إنها عاجزة فعلاً عن العثور على نفسها فى هذه الفوضى ، وهذا شىء جميل ..لا وقت للقلق أو التفكير فى الغد ..

كانت الأم تتعافى بسرعة .. وبرغم أنها صارت تتعاطى قائمة هائلة من الأدوية فإن حالتها العامة كانت أفضل ..

المشكلة أن قائمة الأدوية هذه عبء مادى لا شك فيه ، وقد طلبت من (صفوت) أن يقرضها بعض المال ففعل بسماحة ، لكنها بالتأكيد لن تجرؤ على تكرار ذلك ..

هذه كانت الأوضاع عندما دخلت إلى غرفتها ..

كانت أمها قد نامت فى سلام وتنفسها منتظم ..

للمرة الأولى تمد يدها إلى جهاز الأحلام غير شاعرة بالذنب .. سوف تغسل نفسها لمدة نصف ساعة ثم تعود لتواجه الواقع القاسى ...

من مكان ما فى الشارع انبعث صوت جهاز تلفزيون مفتوح .. تسمع صوت (زوزو نبيل) الخشن الجميل إذ تتثاءب وتقول :

ـ « مولاى .. »

ثم تنبعث تلك الموسيقا الخالدة التى هى نياط قلب يتمزق مع صياح ديك مع جنى يشق الجدار ويخرج ... إنها كل هذا فى وقت واحد ... مقطوعة ريمسكى كورساكوف korsakov الأسطورية ..

ضغطت على زر التشغيل ، وخطر لها أن هذه الموسيقا قد تتسرب للحلم بشكل ما . وابتسمت للفكرة ..

لم تدر كم هى محقة ..



2 ـ احكى يا شهر زاد ..

كانت هناك وسط النساء ..

الجو العام يوحى بأحد المخادع الشرقية التى رسمها (ديلاكروا) .. هناك ستائر .. الكثير منها.. هناك طنافس ووسائد .. هناك حوض ماء صغير يتصاعد منه بخار عطر الرائحة ، وهناك طاووس أو اثنان يدوران حول الحوض ... ربما وجدت نمرًا كذلك لو بحثت بعناية ..

هناك جوار أكثرهن أفريقيات داكنات البشرة يقمن بتمشيط شعرها الأسود الطويل .. وهناك عبيد عراة الصدور سود البشرة من الذين يصلحون للمصارعة ، يقفون فى شموخ وقد عقدوا سواعدهم على الصدور. شعرت بخجل لأن هؤلاء الأوغاد هنا ، ثم تذكرت أن هؤلاء العبيد عولجوا بطريقة خاصة كى يخلوا من هرمونات الرجولة ، ومهتمهم حماية النسوة فى الحريم ..

هناك جارية شقراء ـ لابد أنها أوروبية ـ تعنى بأظفار قدميها ، وأخرى تبدو كالصينيات تجلس جوارها ممسكة بصحفة عليها فاكهة طازجة .. شىء مستفز .. كأنها لا تستطيع التوقف عن التهام الفاكهة إلى أن تمشط شعرها ، لكن من الواضح أن

هذه حياتها ولا حياة أخرى .. أى أن يومها عبارة عن تبرج طويل فلا توجد لحظة خالية تأكل فيها ..

هناك من ترش عليها من قنينة عطر .. عطر مدوخ هو ، يبدو أنه تم تقطيره من خلاصة الشرق ذاتها. جارية أخرى تحمل مرآة عملاقة تضعها أمامها ..

ترى (عبير) نفسها للمرة الأولى فى هذه القصة ، فتدرك أنها ساحرة .. صغيرة الحجم دقيقة أقرب لطفلة.. لكن عينيها تشعان ذكاء وقوة شخصية ، ومن الواضح أنها خبيثة كذلك .. على رأسها عمامة عملاقة مزينة بريشة وماسة ، وحول جيدها وفى ذراعيها كمية هائلة من الحلى والمجوهرات ..

هنا فهمت على الفور ..

لا توجد شخصيات كثيرة لها هذا الطابع ، وهى تتخيل كيف كانت الملكة سميراميس تلبس وكذلك شجرة الدر .. نحن بالتأكيد فى بلد عربى فى العصر العباسى ..

شهرزاد ..

من سواها ؟

* * *

هناك كان جالسًا على فراش عملاق يبلغ ارتفاعـــه متــرين ، وقد اضطجع على جانبه ونزع عمامته فتــدلى شـعره الأســود الطويل الحريرى على كتفه ، وكان يعبث فى لحيته بلا توقف ..

تشق طريقها وسط غابة الستائر الحريرية لا تعرف أى طريق يقود إليه ..

هناك كان راقدًا يدخن النارجيلة .. وقد وقف جواره ذلك العبد الأسود العملاق .. لابد من عبد أسود لهؤلاء القوم وإلا فقــدوا شعورهم بالتميز ...

هناك كان مضطجعًا يلتهم تفاحة حمراء ضخمة فى ملل ، حتى ليوشك على أن يبصقها .. يأكلها ولا يريد ذلك لحظة ...

من يكون هذا سوى (شهريار) ؟

أخيرًا بعد مسيرة ساعة وسط الستائر ، بلغت الفراش فانحنــت محيية بحركة رشيقة ذات طابع ملكى ، فتوقف عن المضغ علــى سبيل التحية ، ثم فرد لها العباءة التى وضــعها علــى الفــراش لتجلس فوقها .. تسلقت الفراش وتربعت شاعرة بأنها تغــوص .. نعومة لا يمكن وصفها ، فهل هو ريش النعام حقًا ؟

شهريار ..

الملك الشرقى الذى خانته زوجته فقطع رأسها ، ثم قرر بعد هذا ألا يثق بأنثى للأبد .. وشعار حياته هو (لا تأمنن إلى النســاء .. ولا تثق بعهودهن) ..

كان انتقام شهريار من جنس النساء شاملاً وقاسيًا بالطبع ..

فى كل يوم يجلبون له عروسًا عذراء يتزوجها ليلـــة واحــدة ، وفى الصباح يأتى مسرور السياف حاملاً السيف والدلو والنطــع . مسرور هذا يقطع رءوس الناس بالبساطة التى تقشر بهــا أنــت ثمرة يوسفى . هكذا يهوى السيف ويسقط رأس العــروس لليلــة واحدة فى الدلو .. ويخرج المنادون ليبحثوا عن عروس أخرى ..

هذا يعنى أن هناك 365 رأسًا مقطوعة فى كل سنة ...

هناك ملك آخر لم يقطع كل هذا العدد من الرءوس ، لكن التــاريخ منحه اسم (شهريار بريطانيا) ، هو الملك هنرى الثامن ...

هنا تظهر شخصية شهرزاد الفريدة ...

إنها تلك الفتاة الذكية واسعة الحيلة التى قررت أن تنجو بحياتها أولاً ، ثم تنقذ نساء المملكة ثانية ..

لقد قبلت الذهاب لشهريار عروسًا لليلة واحدة كما فعلت الفتيات الأخريات ، لقد استشفت أن شهريار برغم هيبته الواضحة ولحيته العملاقة وعينيه المفترستين طفل كبير .. طفل يحب الحواديت كأى طفل آخر .. ويمكن القول إن هذا المعتقد يتسع ليشمل كل الرجال فى الحقيقة ..

هكذا بدأت تحكى له قصصًا ممتعة .. قصصًا لا تنتهـى أبـدًا ، وكل قصة تحمل نهاية شائقة .. كانت هى أول من ابتكـر نظـام (القفلات) أو CLIFF HANGERS إذن ..

هكذا يجد الأخ شهريار نفسه فى الصباح مخيرًا بـين الالتـزام بعهده الرهيب وقطع رقبتها ، أو الانتظار ليلة أخرى لمعرفة مـا حدث بعد هذا ...

الطفل الكبير فضل أن ينتظر ..

والمشكلة أن كل ليلة تلد قصة أخرى لم تنته .. هكذا يكون عليه أن ينتظر ...

يشبه الأمر أن تحاول غلق باب تتدافع عبره أسراب من الدجاج .. لا تجد أبدًا اللحظة المناسبة لغلق الباب ..

ظل الباب مواربًا .. 1001 ليلة ... ثلاث سنوات تقريبًا ...

* * *

لقد تضخم دور شهرزاد فى الوجدان الثقافى العالمى ، حتـى صارت ترمز للأنثى واسعة الحيلـة التـى استطاعت بـذكائها ترويض الثور المشعر مفتول العضلات المسمى بالرجـل .. لـم يبقها حية سوى ذكائها وقدرتها على نسج قصص ممتعة ...

إنها الفنان عبر العصور .. الفنان الذى يجب أن يقـدم فنًـا جميلاً ، وإلا طار عنقه .. النقاد سـيطيرون عنقـه والجمهـور سيطير عنقه .. وهو نفسه سيطير عنقه ، عندما لا يجـد سـببًا للحياة ..

هناك مسرور أبدى يحمل سيفًا ونطعًا وراء كل فنان .. ينتظر اللحظة التى يجف فيها فنه ..

وشهرزاد كانت فنانًا .. فنانًا خلدته الأساطير ..

فنانًا لم يتوقف عن ابتكار قصص مسلية لمدة ألف ليلة وليلة ...

* * *



3 ـ احكى يا دنيا زاد ..

بدأت تفتش فى ذاكرتها عن قصة .. لابد أنها تستكمل قــصة قيلت أمس ، فهــذه هى تقنية ألف وليلة وليلة .. والقصة تلــد قصة داخلها ثلاث قصص ، وكل قصة داخلها قصتان ، ويبدو أن هذه الطريقة العنقودية المعقدة سبقت كــل المحــاولات الأدبيــة السابقة ..

هنا نظر شهريار خارج الستائر فى ملل وقال :

ـ « ألن تأتى يا شهرزاد ؟ »

شهرزاد ؟...

هنا انزاحت الستائر ووجدت عبير نفسها تنظر إلى شــهرزاد فعلاً .. امرأة ناضجة مكتملة فارعة الطول ، وفى عينيهــا ذات الذكاء وقوة الشخصية .. هنا فهمت (عبير) .. لم تكــن هــى شهرزاد .. كانت هى (دنيا زاد) أختها التى جاءت لتعيش معها فى قصر الملك ..

ليس غريبًا أن تجملها الجوارى فهى أخت ملكتهم .. ولهــذا بدت لنفسها أصغر سنًا مما تتوقع ..

جلست شهرزاد على الفراش بدورها ، فصارت الجلسة ثلاثية ..

قال شهريار فى لهفة وعيناه المجنونتان تلمعان:

ـ « هيه !.. ماذا حدث للحمال فى قصة أمس ؟ »

ابتلعت شهرزاد ريقها .. كان لديها ما تريد قولــه وإن كــان عسيرًا . بعد صمت طال قالت وهى تتحاشى نظرات الملك :

ـ « أنا بحاجة إلى راحة ! »

ـ « راحة ؟ »

ـ « نعم .. ضع نفسك مكانى .. هناك ما يسمى (سدة الكاتب Writer's block) .. منذ 800 ليلة وأنا أحكى لك قصصًا مثيرة بلا توقف . بشرط أن تكون القصة كثعبان لا يمكن غلق البــاب قبل أن يمر بالكامل ، وقبل أن يمر يكون ثعبان آخر قــد حــشر رأسه معه .. أبذل هذا الجهد كى أنقذ عنقــى وعنــق الفتيــات الأخريات .. الآن لابد من لحظة نضوب .. لابد مــن أن أتوقــف لفترة وأستجمع أفكارى .. أريد أن أقرأ وأشاهد أفلامًــا وأتأمــل الناس .. أنت لا تمنحنى هذه الفرصة .. لقد جففت ! »

عيناه صارتا عينى نمر وهو ينظر لها فيوشك على أن يحرق عمامتها .. قال من بين أسنانه :

ــ « والحل ؟ »

قالت وهى تتمطى على الفراش :

ــ « لابد من التغيير ! »

ــ « بل لابد من مسرور !! »

لم تفهم هى ، لكن مسرورًا العملاق الزنجى فهم وهو على بعد أمتار ، وما زال يقف خلف الستار .. وهكذا لم تــدر عبيـــر إلا والعملاق الزنجى الأبنوسى المبلل بالعرق يزيح أستار الفراش ، ثم يهوى بسيف بتار من طراز السيوف التترية إياها على عنـــق شهرزاد ..

لقد صارت الفوضى بالغة ... ما من مجنون يقطع رأس امرأة على الفراش .. هكذا تحولت الغرفة إلــى بركـــة دم .. وصـــاح شهريار متقززًا :

ــ « يا لك من غبى !... لماذا لم تقطع عنقها على النطع كما هى العادة ؟ »

قال مسرور وهو يحمل الرأس الجميل :

ــ « حسبت الأمر عاجلاً يا مولاى .. خطر لى أنها تهددكم ! »

ــ « تهددنى أنا يا أحمق ؟ »

ثم نهض متأففًا يبحث عن العبيد كى يعطـــوه ثيابًـــا وحمامًـــا وعطرًا .. يحب رؤية الدماء لكنه يمقت أن يستحم بها ..

فقط (عبير) ظلت وحدها على الفراش ترتجف عاجزة عـــن الكلام أو الحركة أو الفرار ..

لقد تم كل شىء بسرعة البرق .. هناك حادث حقيقى عن رجل هندى كان يتناول عنقود عنب فى قطار فوثب قرد مـــن النافـــذة وخطف العنقود ، ثم فر من النافذة الأخرى .. ظل الرجـــل فـــى وضع متصلب ويده ما زالت فى وضع الإمساك بالعنقود وحبـــة عنب قرب شفتيه .. ظل على هذا الوضع ثلاث ساعات !

لقد وجدت نفسها فى موقف مشابه ..

لم تتحرك .. لم تتكلم .. لم تتنفس .. كأنهـــا أصـــيبت ببلـــه مغولى مفاجئ ..

وعندما أفاقت كانت على البساط الثرى السميك بينما جاريتان تعنيان بها ..

كانت تبكى منهارة وترتجف بلا توقف ..

لم تكن علاقتها بشهرزاد قوية.. كما قلنا هى قابلتها منذ ربع ساعة لأول مرة ، لهذا لا يمكن أن نقول إنها تأثرت لموت أختها .. فقط تأثرت لرؤيتها مصرع إنسان بهذه الوحشية ..

شهريار وحش .. شهريار سايكوباثى .. شهريار دموى ..

لقد ماتت شهرزاد وانتهى مبرر وجود ألف ليلة وليلة إذن .. لقد صارت 800 ليلة لا أكثر ..

هنا رأت فى مجال بصرها طيلسانًا فاخرًا وحذاء ثمينًا محلـى بالمجوهرات .. لم ترفع عينيها فقد عرفت من العطر أنه هو ..

قال بصوته الجهورى :

ـ « الآن أنت ضحيتى القادمة يا (دنيا زاد) .. »

ارتجفت هلعًا .. ما ذنبها هى ؟

قال وهو يتجشأ :

ـ « إلا إذا .... »

إلا إذا ماذا ؟

عاد صوته يتردد:

ـ « إلا إذا استطعت أن تواصلى مهمة أختك .. لقـد كانـت بارعة فى التأليف وحكت قصصًا رائعة .. هل تعتقدين أنك قادرة على استكمال المهمة ..؟ »

نظرت له فى حيرة .

إذن هذا هو المقلب وسبب وجودها فى هذه القصة .. عليهـا أن تسلى هذا الثور المولع بالدماء والقصص ..

قالت فى تردد وبصوت مبحوح :

ـ « سأحاول .. سأحاول ... »

منذرًا لوح بإصبعه :

ـ « وتعرفين طبعًا ما سيحدث لو لم ترق لى القصص .. »

ـ « أعتقد أنه قطع عنقى طبعًا .. »

ـ « لا .. قطع العنق يعنى أننى متسامح ومزاجى معتـدل .. إن لدى خيالاً أقوى بكثير !! »

4 ـ بلغنى أيها الملك الرشيد ..

الآن صارت عبير هى الزوجة الجديدة لشهريار..

بدأت تفتش فى ذاكرتها عن قصة .. لابد أنها تستكمل قصة قيلت أمس ، فهذه هى تقنية ألف وليلة وليلة .. والقصة تلد قصة داخلها ثلاث قصص ، وكل قصة من هذه فيها قصتان .. حتى أنك عندما تعود للقصة الأصلية تكون موشكًا على فقدان الوعى ..

لقد ألبستها الجاريتان ثياب شهرزاد الواسعة عليها ، ووضعتا العمامة الثقيلة على شعرها .. بدا التأثير غريبًا كأن شهرزاد الأصلية قد خضعت لعملية انكماش مفاجئة ..

جاء شهريار فتثاءب وتمطى ثم ألقى بنفسه على الفراش الوثير ، وفى عينيه بدت نظرة شغوف كطفل جاء وقت سماع قصص جدته .. بل إنه نام على بطنه واستند على قبضته وراح يركل الهواء بقدميه .. طفل كبير لكنه يملك نفوذًا مخيفًا وما أفظع الأطفال الذين يحق لهم القتل !

تنحنحت وتوكلت على الله ، لكن صوتها خرج مبحوحًا .. حاولت أن تقلد نغمة صوت زوزو نبيل الأرستقراطية الأنفية قليلاً.. هذا الصوت الساحر الذى تربينا عليه جميعًا فى طفولتنا ..

قالت فى تؤدة :

ـ « بلغنى أيها الملك الرشيد .. ذو العقل السديد .. أنه كانت فى بلاد الفرنسيس .. مدينة تدعى باريس. كانت المدينة تغلى بالغضب .. وتشتعل بنيران اللهب . لأن لويس السادس عشر .. كان يعيش مع أعوانه فى القصر . لا يبالى بشئون الرعية .. قدر ما يهتم بالصيد فى البرية . وزوجته ملكة تدعى مارى أنطوانيت .. هى سيدة البيت . ولم تكن فرنسية .. بل كانت نمساوية . ولما سمعت أن الناس يطالبون بالخبز .. لم تفهم سر هذا اللغز. واقترحت أن يأكلوا (الجاتو) .. بدلاً من الخبز الذى به طالبوا .. »

كانت تعرف أن هذه المعلومة الأخيرة غير دقيقة .. مارى أنطوانيت ليست هى قائلة (لم لا يأكلون الجاتو بدلاً من الخبز ؟) .. لكنها من المعتقدات التى صار تغييرها مستحيلاً .

كان شهريار يتابع . وبدا لها أنه من الممكن أن تنجح ... هو لم يقرأ رائعة ديكنز (قصة مدينتين) وبالتالى يمكن أن يبتلع كل شىء ..

واصلت الكلام :



ــ « كانت الشوارع تغلى بالثورة .. والحياة صــارت مُــرة . وكانت فى أزقة العاصمة المنسية .. حركة مقاومة سرية. مــن أهم قوادها المسيو ديفارج .. وزوجته مدام ديفارج . وهى امرأة قاسية .. باردة وعاتية . وكانا يملكان حانة صــغيرة .. لكنهــا خطيرة . يؤمها الثوار ليتآمروا .. فإذا لاح شرطى جروا . وكان الثوار يكنون أنفسهم باسم جاك .. حتى لا يقعوا فى الشراك .

« فى ذلك الوقت وصلت إلى المدينة .. فتــاة حسناء لكنهــا حزينة . كان اسمها لوسى مانيت .. وأبوهــا طبيــب حــويط . سجنوه أعوامًا فى سجن الباستيل .. ولم تسمع عنه سوى القليل . وسجن الباستيل سجن رهيب .. لم يتحمله عقل الطبيــب. فلمــا غادر السجن أخيرًا .. صار محطمًا كسيرًا. واستضافه ديفــارج فى حانته وأكرم وفادته .. فلما جاءت الفتاة تبحث عن أبيهــا .. أخذها ديفارج ليريها . نزلا معًا إلى غرفة مخفية .. حيث كــان الطبيب عاكفًا على إصلاح الأحذية. فلما قابل ابنتــه بعــد هــذه الأعوام .. لم يعرفها وكاد ينام . بكت على صدره لله شــاكرة .. وقررت أن تأخذه إلى انجلترا . بعيدًا عن هذا البلد اللعين .. الذى يوشك على أن يصير الجحيم » .

كان شهريار يصغى بضمير مخلص محاولاً أن يستمتع ..

كان كل هذا غريبًا بالنسبة له .. أســماء غريبــة .. أحــداث غريبة ..

للأسف لم يرد لذهنها المنهك سوى عنوان (قصة مــدينتين) قصــة تشارلز ديكنز الرائعة. إنها سرقة أدبية بالمعنى الحرفــى للكلمة ، لكنها مضطرة لذلك كى تنقذ عنقها .. ديكنز نفسه كــان سيسمح لها بالسرقة إذا عرف أن ثمن عدم السرقة هو السيف .. كانت الأحداث سهلة يسيرة التذكر ، فلــم تكــن معقــدة مليئــة بالأسماء مثل الكارثتين (ديفيد كوبرفيلد) و(أوقات عصيبة) ..

مد شهريار أنامله إلى عنقود العنب فأخذ بضع حبات دسها فى فمه وراح يمضغ فى بطء .. وقال :

ــ « أكملى ..»

قالت (عبير) بصوتها الناعس :

ــ « يظهر هنا شاب وسيم .. كان متهمًــا بجــرم عظــيم . (تشارلز دارنى) هو اسم الشاب .. وقد برأه المحامى بلا صــعاب . لأن المحامى الداهية .. كان يملك حيلة واعية . إذ لديه مــساعد

يدعى سيدنى كارتون .. يشبه دارنى فى الملامح واللون .. وهكذا شكك فى شهادة الشهود .. وبين للقاضى أن الشبه موجود . هكذا ظفر تشارلز دارنى بالحرية .. ووقع فى حب لوسى الوفية ..

قال لها شهريار فى دهشة :

ـ « هل تعنين أن هذا الـ ... التشارلز دارنى يشبه سيدنى كارتون ؟ »

قالت باسمة :

ـ « نعم .. وهذه هى النقطة المهمة فى القصة .. أحد الرجلين شاب ناجح اجتماعيًا ، بينما الآخر صعلوك ولد خاسرًا .. سوف يفوز تشارلز دارنى الوسيم الناجح بكل شىء ولوسى نفسها ، لكنه يقع فى مشكلة خطيرة عندما تعتبره الثورة عدوًا لها وتحكم عليه بالإعدام ... سوف نعرف أن سيدنى كارتون نفسه يحب لوسى سرًا ، وهكذا يقرر سيدنى كارتون أن يقوم بأعظم تضحية قام بها إنسان .. يضع نفسه مكان تشارلز دارنى ويذهب بدلاً منه إلى المقصلة وهو يردد: ما سأقوم به هو أفضل بكثير جدًا من أى شىء فعلته من قبل ... »

عيث شهريار فى لحيته وتساءل :

ـ « وما هى المقصلة ؟ »

ـ « الجيلوتين guillotine .. هذه طريقة متقدمة لقطع الرقاب ، لكنها كانت فى البداية آلة للحصاد ..حولها الفرنسيون إلى آلة إعدام رهيبة ، فهم لا يملكون مسرورًا بالتأكيد ... »

قال فى اشمئزاز :

ـ « لا أحب هذه الوسائل المتقدمة .. منظر الجلاد الذى يحمل السيف درامى أكثر .. »

ثم داعب شاربه ولمعت نظرة ميزوجينية شنيعة فى عينه ، وقال :

ـ « ما هو الحب الذى يدفع المرء إلى أن يضحى بعنقه من أجل امرأة ؟.. النساء كائنات كالصراصير لا تستحق أية تضحية من أى نوع .. هذه قصة خيالية أكثر من اللازم » ..

قالت فى كياسة :

ـ « أبطال القصص أكثر جموحًا ودرامية من الناس العاديين .. هذا طبيعى وإلا ما كتب أحد عنهم حرفًا .. لن تجد رواية تحكى

عن رجل ذهب للبقال وابتاع جبنًا ثم عاد ليتناول عشاءه ويتجشأ وينام .. »

أضاف شهريار وقد تذكر شيئًا :

ـ « هذه هى القصة إذن ؟.. لقد أتلفتها تمامًا ... لقد قلت لى كيف ستنتهى قبل أن تبدأ .. أنا أمقت الــ Spoliers »

هنا تذكرت أنه مستمع قصص ممتاز ، ولا شىء يؤذى هؤلاء سوى أن يعرفوا نهاية القصة .. هذا يقتلهم قتلاً . هنا لجأت إلى الحل الذى وصلت فيه شهرزاد إلى مرحلة الإبداع.. فتح جبهات جديدة :

ـ « فلما التقى دارنى وكارتون بعد المحاكمة ... تبادلا عبـارات بالمجاملة مفعمة. شكر دارنى شبيهه على الدفاع الجميل .. الذى أنقذه من سجن الباستيل. فقال كارتون إن هــذا يــذكره بقــصة الصياد الفقير.. الذى وجد لؤلؤة حجمها كبير.. وكــان يحــسبها ستجلب له السراء .. فلم تجلب سوى الضراء .. »

قال لها شهريار فى فضول :

ـ « وما هى قصة اللؤلؤة ذات الحجم الكبير ؟ »

قالت فى غموض :

ـ « هى قصة غريبة .. وأحداثها عجيبة . وما هى بأعجــب من قصة دارتانيان والفرسان الثلاثة الشجعان .. »

هنا صاح الديك .. وأدركهما الصباح .. فسكتت دنيا زاد عــن الكلام المباح ...



5 ـ الصياد وزوجته الحبيبة .. واللؤلؤة العجيبة ..

فى اليوم التالى ذهب شهريار لتدبير شئون المملكة ..

تذكر أن شهريار ليس مجرد مستمع للقصص كمـــا تظهـــره القصص ، بل هو ملك قوى .. إن أباه هو من ملوك (ساسان) بجزر الهند والصين . أى ـ للدقة ـ هو يحكم منطقة ما فى جـــزر الملايو. وقد ورث شهريار عنه هذا الملك ، أما أخوه (شاه زمان) فقد كان ملك سمرقند .

جلست عبير فى جناح الحريم .. وراحت واحدة من الجوارى تضفر شعرها وواحدة أخرى تضمخها بالعطر فى المشهد الممل المعتاد الذى يروق للغربيين ورسمه ديلاكـــروا مـــرارًا. كانـــت شاردة الذهن لا تكف عن استكشاف مجالات القص المتعددة ..

إن لديها مخزونًا لا بأس به من القصص ، لكنه يبدو غريبًا .. غريبًا أكثر من اللازم يختلف بالتأكيد عن ذلك الجو الحميم العربـــى الذى اشتهرت به قصص شهرزاد .. بغداد والأزقة والحمـــالون والمتسولون والنساء الغامضات اللاتى يـضعن الخُمُـــر .. مـــن الصعب أن تستبدل بهذا الجو جو مسيو (ديفارج) ود. (مانيـــت) والمقصلة ..

لكن الحقيقة هى أنها بالفعل لا تذكر حرفًا من قصص ألف ليلة .. تتذكر الجو العام .. هناك جنى فى مصباح وأربعون لصًا ، لكـــن فيما عدا هذا لا توجد تفاصيل ..

على كل حال لا مفر من أن تستمر فى خطتها ..

سوف تحكى له ما تعرفه من أدب غربى أو عربى معاصر ... لا يوجد حل آخر ، وعليه إن لم يحب هذا أن يبحث عن طريقـــة تسلية أخرى ..

سوف تحكى له قصة (اللؤلؤة) رائعة (شـــتاينبيك) ، ثـــم تتفرع منها إلى (الفرسان الثلاثة) رائعة دوما .. وبعدها تعـــود للؤلؤة ومنها إلى قصة مدينتين .. هذه هى التقنية التى تعرفهـــا .. إن هذا سيطيل حياتها أسبوعين على الأقل ..

* * *

هكذا عندما جاء المساء وفرغ شهريار من قطـــع الرقـــاب ، وتناول عشاءه الدسم الذى يتكون من خروفين ، كل خروف قـــد حشى بديك رومى ، والديك الرومى محشو بالدجاج ، والـــدجاج محشو بالحمام ، والحمام محشو بالعصافير ، والعصافير محشوة

بالجوز واللوز .. ثم شرب زقًا من خمر بابل ، كــان الآن فــى حاجة إلى قصة مثيرة تناسب عملية الهضم ..

جاء إلى غرفته فشق طريقه وسط الستائر إلى أن بلغ الفراش ، فارتمى عليه كأن جبلاً يجثم فوق صــدره .. راح يلهــث طلبًــا للهواء ، ثم قال لها :

ـ « اليوم يا دنيا زاد أنا راغب فى سماع قصة الصياد الفقير واللؤلؤة ذات الحجم الكبير .. »

ابتسمت فى ثقة أنثى تعرف أين وكيف تقود رجلاً أضخم منها بمراحل ، وقالت:

ـ « بلغنى أيها الملك الرشيد .. ذو العقل السديد . أنــه فــى قرية مكسيكية .. كان صياد هندى سليم الطوية. وكان كينو هــو اسمه.. وله زوجه فقيرة مثله. عاشا يعانيان الفقر والجــوع .. ولديهما ابن رضيع. كان هو الذى يمنحهما الأمل .. ومن أجلــه يحبان العمل. حتى جاء اليوم الخطير .. عندما مشى عقرب فوق فراش الصغير. سقط فوق الرضيع فلدغه بذبانه .. قبل أن يقتله كينو. هكذا انتشر السم .. وجرى فى الرضيع مجرى الدم . حمل كينو صغيره إلى الطبيب الموجود .. وهو أسبانى يكره الهنود .

لكن الطبيب رفض فحص الرضيع .. لأنه يعرف أن الهنود حالهم وضيع . والهنود .. ليس معهم نقود . هكذا زعم أنه ليس هنالك .. وأرسل الخادم يخبر كينو بذلك . جن جنون الهندى وغلبه القنوط .. وأدرك أن ابنه سيموت .. »

قال شهريار وقد اتسعت عيناه دهشة:

ـ « ليس معه أجر الطبيب ؟.. أليس صيادًا ؟ »

قالت عبير:

ـ « تعرف يا مولاى أن الصيادين يعيشون من يوم ليــوم .. إن حياتهم تتوقف على رزقهم. كان كينو صياد لؤلؤ .. واللؤلــؤ لا يوجد عندما تريده .. »

ثم ابتلعت ريقها وعادت لعادة السجع :

ـ « كأنما يستجدى الأقدار .. وثب كينو إلى أعماق البحــار. وراح يبحث عن لؤلؤة .. تحت ربوة ناتئة . من الغريب أنه وجد محارة كبيرة .. بداخلها لؤلؤة خطيرة . أكبر لؤلؤة رآهــا فــى حياته .. ولن يرى مثلها حتى مماته . هكذا أطلق صرخة مدوية .. وجرى يخبر زوجته الوفية . لم يأت المساء .. حتى كانت القرية

كلها قد عرفت بما وجده فى الماء . الكل شعروا بحقد عليـــه .. للثروة التى هبطت فى يديه . وقال الطبيب فـــى غـــرور .. إنـــه يعالج ابن كينو الصغير . وكان معلومًا لدى الفقراء .. أن الفقير الذى يصير ثريًا يمعن فى العطاء . »

راح شهريار يصغى فى استمتاع لهذا الجـــزء ، لأنـــه يحـــب قصص المجوهرات عامة .. هناك لؤلؤة وهناك صياد فقيـــر .. يبدو أنه لم يبتعد كثيرًا عن جو ألف ليلة وليلة على كل حال ..

واصلت عبير سرد القصة :

ــ « امتلأ ذهن كينو بالأحلام .. سيعلم ابنه الحساب والأرقام . سيذهب ابنه للمدرسة .. ويعرف كل شـــىء ويدرســـه . وعنـــد المساء جاء الطبيب .. زاعمًا أنه لم يعرف أن الرضيع أصـــيب . قال له كينو إن الصغير قد شفى من اللدغة المميتة .. لكن الطبيـــب أصر أن يفحصه بعناية مقيتة. وقال إن السم . قد سرى فى الدم .. أخرج من حقيبته شيئًا فى ضوء السراج .. وقال إن هـــذا هـــو العلاج . بعد ساعات اشتدت الحمى بالرضيع .. وأفرغ معدته وانفجر فى الدموع. عندها عرف كينو أن الســـم نشيط .. وللرضيع مميت . لكنه شعر بشك مريب .. تجاه ما أعطاه له الطبيب .. »

حك شهريار رأسه من تحت العمامة وتساءل :

ــ « هل تعنين أن الطبيب قد يكون دس سمًا للرضيع ؟ »

ــ « هذا وارد .. لقد عرف بموضوع اللؤلؤة ومن الممكن أنه جعل الرضيع يمرض أكثر ليعالجه ويطالب بفاتورة فلكية .. »

ــ « لقد جن بطل قصتك هذا .. »

ــ « الحقيقة أنه سيغرق فى البارانويا .. سوف يعتقد أن كل شخص يتربص به والأشجار تتحرك .. كل شىء فى الكون يريد اللؤلؤة .. إن اللؤلؤة لن تجلب له سوى أسوأ ساعات حياته .. »

قال شهريار محذرًا وفى عينيه نظرة مخيفة :

ــ « حذار .. حذار .. لا تفسدى هذه القصة كذلك .. »

تذكرت على الفور أن الشىء الوحيد الذى يبقيها حية ويبقـــى عنقها على كتفيها هو التشويق .. يجب أن يظل شهريار ينتظـــر معرفة ما سيحدث ..

قالت له وهى تتثاءب :

ــ « قصة غريبة ، لكن ما هى أغرب من قـــصة دارتانيـــان والفرسان الثلاثة الشجعان .. »

سوف تحكى له جزءًا من الفرسان الثلاثة ، ثم تعود إلى كينو واللؤلؤة .. ثم تعود لقصة مدينتين .. هكذا ..

قصة الفرسان الثلاثة لا تروق لها . هناك جو مفتعل ســخيف مزخرف بالدانتيلا .. كل شىء انيق متغطرس ، وهؤلاء الــسادة الشجعان الذين قبل أن يتبارزوا ينحنون ملوحين بالقبعات المزينة بريش الطاووس .. وجو المؤامرات التــى يــدبرها (رشــليو) دائمًا ، وزجاجات السم الصغيرة .. و .. و.. لكنها على الأرجح ستروق لشهريار .

هنا لاحظت شيئًا غريبا .. إنها لا تتــذكر حرفًــا مــن قــصة الفرسان الثلاثة .. انطباع عام عن القصة لكنها لا تــستطيع أن تذكر فقرة كاملة منها ..

وماذا عن مغامرة كينو واللؤلؤة ؟.. لا تعرف .. لقد تبخــرت القصة من ذهنها ..

شعرت بأنها توشك على فقد الوعى ..

قالت لشهريار وهى تتثاءب :

ـ « مولاى .. لقد أدركنا الصباح وعلينا أن نكف عن الكــلام المباح ! »

كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليــل .. مــا زال الــصباح بعيدًا ، لكنها أغمضت عينيها وأطلقت شخيرها ..

سمعته يقول فى غيظ :

ـ « ما زال الصباح بعيدًا .. يا لك من بلهاء ! »

وراح يهزها فى عنف فارتفع شخيرها أكثر .. أطلــق بعــض السباب .. وفى النهاية بدأ صوت شخيره يتعالى هو الآخر .. من الصعب أن تظل متيقظًا عندما ترى من يغط فى سلام كطفل .

أما هى فلم تنم وعلى الأرجح لن تنام ..

يجب أن تعرف ما حدث لذاكرتها !



6 ـ ليس ألزايمر لسوء الحظ ..

كانت جالسة فى جناح الحـــريم تمـــارس عملهـــا اليـــومى : لا شىء . إلا لو كان الجلوس لفتاة صينية تقلم أظفارها عملاً .. تقضم قطعة هائلة من أجاصة (كمثرى) ثم تلوكها مفكرة ..

ماذا حدث لذاكرتى ؟

من الممكن أن تحكى له أدبًا عربيًا .. هذا وارد .. بلغنى أيها الملك السعيد ذو العقل الرشيد .. أنه بقـــرب الميـــدان .. كانـــت عمارة اسمها يعقوبيان ..

أو : بلغنى أيها الملك السعيد ذو العقل الرشيد .. أن أحمد عبد الجواد .. كان تاجرًا لديه أولاد .. وكان فى البيت صارمًا وغيـــر حنون.. لكنه كان يعشق الطرب والمجون ...

قطع عليها خواطرها صوت البنات يشهقن ويصرخن .. تعرف هذا النوع من الصراخ من طراز (يا لهوى !.. راجل !) .. معنـــى هذا أن رجلاً ظهر فى جناح الحريم . لا رجل يجرؤ على ذلك ما لـــم يكن راغبًا فى قطع عنقه ، أو هو ....

المرشد !... نعم ..

يمشى بقامته الفارعة وبذلته السوداء المملة التى لا يخلعهـــا أبدًا ، والقلم الكئيب إياه .. تتك .. تك .. تتـــك .. وأدركـــت أن الجوارى فررن مذعورات.. رؤية رجل غريب هنا لا تقل رعبًـــا عن رؤية ديناصور ..

يحييها بهزة رأس ثم يلتقط تفاحة ، ويمسحها فى كمه ، ثـــم يقضم منها ..

ـ « لم يطل بك الوقت حتى صرت فى مشكلة .. »

أشارت للجارية الصينية كى ترحل ، ثم قالت له :

ـ « هل تتكلم عن داء (ألزايمر) الذى أصبت به مؤخرًا ؟ »

قال وهو يلوك التفاحة :

ـ « كرونش .. كرونش !.. ليس داء ألزايمر .. أنت وقعـــت فى ورطة زمنية كئيبة . هل تعرفين القصص إياها عندما يعـــود المرء عبر الزمن ليقتل المخترع الفلانى .. من ثم لا يعود وجود لاختراعه فى عالم الغد ؟.. فى فيلم (المفنى Terminator) يرسل طغاة المستقبل قاتلاً آليًا عديم الرحمة لعالمنا ، كى يقتل المـــرأة التى ستلد زعيم الثوار فيما بعد ... »

حاولت أن تربط كلماته بما هى فيه فلم تفهم .. ضيقت عينيها أكثر بمعنى (أوضح) .. فقال :

ــ « عندما تطالعين سيرة أى كاتب غربى تقريبًا ، فسوف تعرفين أنه قرأ ألف ليلة وليلة أولِ ما قرأ .. ونتيجة لهذا قرر أن يصير كاتبًا. ما حدث هنا هو أن شهرزاد لم تعد موجودة والقصص لم تُستكمل .. النتيجة أن معظم الكتاب الغربيين لم يكتبوا حرفًا !.. كيف تحكين قصصًا من الأدب الغربى بينما لا وجود لها أصلاً ؟.. أنت كرجل يجاهد لبلوغ سقف بناية شامخة ، بينما البناية ذاتها لم يعد لها وجود .. تصعدين درجات سلم تلاشى .. تصعدين إلى قمة شجرة ذبلت واختفت ! »

نظرت له فى رعب وقد بدأت تفهم ..

قال لها بطريقته الباردة السمجة قليلاً :

ــ « محاولتك هذه سوف تخلخل تاريخ الأدب بالكامل .. سوف تنقرض قطاعات هائلة من الفنون .. »

سألته فى هلع :

ــ « والحل ؟ »

ــ « الحل هو أن تحكى القصص كما كانت شهرزاد ستفعل بالضبط .. »

نهضت واقفة ووضعت يديها فى خصرها :

ــ « كيف ؟.. لا أذكر حرفًا من هذه القصص .. لم أقرأ ألف ليلة وليلة منذ كنت فى العاشرة .. »

ــ « هذه مشكلتك .. »

ــ « إذن لا يوجد حل .. »

راح يفكر بعض الوقت ، ثم قال لها وهو يصلح من ربطة عنقه :

ــ « هناك حل واحد .. إن قصص ألف ليلة وليلة مأخوذة من الحياة مع لعب حر بالخيال .. لو أنك مشيت فى شوارع بغداد ودمشق وبلاد فارس تستلهمين الأفكار ، لربما استطعت أن تجدى بعض القصص .. »

ــ « هل تعنى التأليف من البداية ؟ »

ــ « إن الحياة حبلى بالأفكار .. »



ــ « ومن يسمح لى بهذه الفترة ؟.. لقد رأيت بنفسى كيف طار عنق شهرزاد لأنها طلبت مهلة تستجمع فيها الإلهام .. »

قال فى ثقة :

ــ « لا تقلقى بهذا الصدد .. يمكن أن أتفاهم مع شهريار .. يجب أن يقبل وإلا فلن تكون هناك ألف ليلة وليلة وبالتالى لن يكون هو نفسه موجودًا .. »

فكرت قليلاً .. تبدو فكرة معقولة بالإضافة إلى أنها لا تملك الخيار .. لقد وضعتها فانتازيا فى هذا الموقف وعليها أن تقبل ..

هزت رأسها موافقة ، وسألته :

ــ « متى نبدأ ؟ »

ــ « على الفور .. لكن لابد أولاً من لقاء بعض الشخصيات المهمة .. »

ــ « مثل من ؟.. شكسبير ؟ »

ــ « تقريبًا .. سوف تفهمين أكثر عندما تقابلينهم .. »

7 ـ ما قبل ألف ليلة وليلة ..

السادة الجالسون كانوا مرعبين حقًا ..

لو كان هذا معرضًا للحى والسوالف الكثة والثياب الفكتورية ، فهو أنجح معرض ممكن .. وكانوا يرمقونها فى شك وكراهية ..

جلست عبير إلى المنضدة وأدركت انها لحظة عسيرة أخرى من لحظات فانتازيا .. لكنها على الأقل اطمأنت لوجود المرشد .. بدا لها الأمر كأنها مقبلة على محاضرة يلقيها عدة أشخاص ..

وقف المرشد فى مركز الصدارة من المنضدة حسب قواعد الاتيكيت ، وفرد صدره وقال بطريقة خطابية:

ــ « مما يسعدنا أن يكون معنا هنا المسيو (أنطوان جالان Galland) الذى ينسب له أنه ترجم الليالى للأوروبيين للمرة الأولى عام 1717 .. وقد سمع هذه القصص من أحد المسيحيين فى حلب ــ سوريا .. لقد كان نجاح هذه الترجمة ساحقًا .. »

ثم أشار إلى رجل بريطانى الملامح ملتح مخيف جدًا .. تذكرت (عبير) أنها تعرفه لكنها لم تذكر أين ، فقال المرشد :

ــ « عند منابع النيل سبق لك لقاء السير (بيرتون Burton) . إنه مغامر شهير وخبير لغات شرقية وأفاق ونصاب كذلك .. يذكر التاريخ أنه تنكر كتاجر تركى مسلم كى يدخل مكة ويرى كيف يبدو الحج ، وقد ترجم ألف ليلة وكتاب كاما سوترا الهندى بلا حذف .. كانت هذه خطوة جريئة جدًا فى إنجلترا الفكتورية .. إن ألف ليلة وليلة مليئة بما لا يصح أن يقرأه صغار السن كما تعرفين .. »

نظر لها السير بيرتون نظرة وقحة وراحت عيناه تجولان فيما يتجاوز وجهها ، فأدركت أنه استحق سمعته كرجل شديد الشهوانية .. لقد وجد ضالته فى ألف ليلة وليلة وكتاب كاما سوترا الهندى الذى هو فى الحقيقة مرجع لتعليم العلاقات الشهوانية . زاد الطين بلة بقيامه بإضافة ملاحظاته الخاصة .. يعنى من دون إضافاته كان يمكن لبعض المقاطع أن تمر على من يقرأ ، لكن الرجل حرص على أن يتغزل بها ويبرزها . على كل حال كانت ترجمته لألف ليلة هى الأكمل على الإطلاق ..

أما الأخ الثالث فهو :

ــ « دكتور (ماردو) الفرنسى الذى أصدر ترجمة عام 1898 .. »

أخرج بيرتون سيجارًا عملاقًا قضم من طرفه قطعة وأشعله فتصاعدت سحابة كثيفة عطرة الرائحة ، وسعل مرتين ثم قال:

ــ « كتاب ألف ليلة كتاب بالغ الأهمية .. يمكن بلا مبالغة القول إنه هو من صنع (جوته) و(لافكرافت) و(إدجار آلان بو) و(فلوبير) و(دوما) و(شوسر) و(بوكاتشيو) و(كونان دويل) و(ويلز) و(كويليو) و.. و .. لقد قدم للغرب فن الخيال وفن السرد ، ومن تحت عباءة ألف ليلة نضج الأدب الغربى .. وهو اليوم يعيد تصدير نفسه للشرق من جديد... رباه ! »

ونفث سحابة كثيفة أخرى من الدخان وقال :

ــ « أنا فخور بما قمت به ! »

هنا تدخل جالان فوقف كالمحاضرين وقال :

ــ « هناك قصة محورية هيكلية هى قصة شهريار مع شهرزاد .. ثم تتفرع القصص التى تحكيها هى ، وكل قصة تقود لقصة قد تقود لقصة أخرى .. فى هذه القصص تجدين آلاف الحيل الأدبية .. لا توجد حيلة أدبية معروفة لم تتطرق لها ألف ليلة وليلة .. »

سألت (عبير) فى حرج :

ـ « آسفة على السؤال الغبى .. لكن من هو المؤلف ؟.. »

ـ « لا أحد .. لا أحد يعرف .. لقد ذابت فـى هـذا الوعـاء قصص فارسية وهندية وعربية ومصرية .. مثلاً قصة شـهريار مع شهرزاد لها أصل هندى واضح .. هناك من وجد قصصًا تمتَ لحضارة ما بين النهرين ، والبعض وجد قصصًا لها أصل يونانى مؤكد. يمكن القول إنه الشرق وقد تم تذويبه فى كتاب واحـد .. لا يوجد كتاب آخر يحوى هذا الخليط الـساحر مـن العفاريـت والسحر والشخصيات الحقيقية والخيالية .. »

قال بيرتون ولعابه يسيل :

ـ « ولا كل هذا القدر من الإثارة الشهوانية .. »

كانت عبير تعرف أن المجتمع الذى تتحدث عنه الليالى مجتمع ماجن عابث .. الكل يشرب الخمر بسهولة تامة ، والكل يقـضى وقته مع الجوارى ، وكل امرأة خائنة بطبعها . الشريفة شـريفة لأنها لم تجد فرصة للانحراف بعد . لهذا كانـت معظـم النـسخ الموجودة فى السوق المصرية نسخًا مراقبـة بعنايـة .. وفـى

الحقيقة لم تفقد الكثير من روعتها بعد هذا التهذيب ، مما يـدل على أن العنصر الشهوانى مقحم ..

قال جالان مواصلاً محاضرته :

ـ « يتكرر كثيرًا ظهور هارون الرشـيد ووزيـره جعفـر .. هارون الرشيد هنا شخصية مخلقة بالكامل تختلف عن الشخصية التاريخية ، فهو عابث يقضى الوقت مع الجوارى ويتسلى بهـذه القصص المسلية التى ترد له . هنا خطأ تـاريخى واضـح لأن الدولة الساسانية زالت قبل هارون الرشيد بمـائتى عـام .. إذن كيف تحكى شهرزاد لشهريار ــ وهو من ملوك الساسان ــ عن هارون الرشيد الذى سيأتى بعده بقرنين ؟ »

جلس الرجل فنهض دكتور (مارادو) الفرنسى واتجه نحـو لوح كتابة وبدأ يشخبط عليه بقطعة من الطبشور .. كان يرسـم دوائر داخل دوائر .. لا .. هذه ليست دائرة بل حلقة دخان مـن سيجار بيرتون. قال مارادو:

ـ « القصة داخل القصة .. التقنية الأهم فى ألف ليلة وليلـة .. تقليد فارسى قديم .. هناك تقنيات أخرى مهمة مثل (الإرهاص) أو (الغرس) .. حيث تقدمين معلومة أو شخصية لا يعرف

القارئ أهميتها.. لكن اهميتها تتضح فيما بعد. هناك ألعاب زمنية خبيثة تتكرر فى عدة قصص وهى ألعاب متقدمة جـدًا تقنيًـا .. هناك الحلم المتبادل .. هناك النبوءة التى تتحقق .. »

قال بيرتون وهو ينفث سحابة كثيفة أخرى :

ــ « إن ألف ليلة وليلة مزيج لعدة ثقافات ، لكن فى النهايـة لها مذاق عربى عراقى أصيل .. إن بغداد فى كل مكـان منهـا وتتنفس فى كل صفحة .. لغة السرد ذاتها تشى بأن الراوى من بغداد .. »

كانت عبير تصغى فى رهبة محاولة أن تحتفظ بهذا الكلام فلا تنساه .. معلومات كثيرة لكن كيف تنتفع بها؟. الحقيقة أنها لـم تشعر قط أن الكتاب بهذه الأهمية .. كانت تعتبره مجـرد كتـاب مسل ، لكن كلام هؤلاء القوم يوحى بأنه مجرة ثقافية كاملة .

قال جالان مواصلاً سباق قذف الطوب على رأسها :

ــ « يغلب الظن أن ألف ليلة وليلة وضعت بين القرنين الثالث عشر والرابـع عشر ، لكنهـا لم تكـف عن النمـو منذ ذلـك الحين .. »

ثم نظر لها نظرة خطيرة كأنه مدير مخابرات فرغ من شـرح المهمة لعميله :

ــ « النصيحة هي: لتكن نقطة ارتكازك بغداد .. تنطلقين منها وتعودين لها .. اختلطى بالناس وحاولى أن تجدى قصصًا .. إن هذا التراث الإنسانى العملاق أمانة بين يديك ، ولولا أن شهريار تهور وقتل شهرزاد لظل هذا التراث حيًا للأبد .. لكنـه موشـك على الانقراض .. وبانقراضه لن يكون هناك أدب معاصر .. نعم .. إن الأمر بهذه الخطورة فعلاً ... »

قال بيرتون وهو ينفض رماد السيجار على شرشف المائـدة الأبيض الأنيق :

ــ « هناك قواعد عدة سوف تتعلمينها .. مثلاً النساء العجائز خطرات جدًا ولا يمكن الوثوق فيهن .. بالذات اللاتـى يظهـرن تدينهن وورعهن . كل إنسان فى ألف ليلة وليلة يشرب الخمـر ببساطة حتى لو لم يذقها طيلة حياته من قبل . الإيمان بالقدريـة شديد جدًا .. كل الناس صيادون أو أمراء .. كل الجوارى يحفظن القرآن والشعر العربى وخبيرات فى الطب وعلم الفلك والفقه .. هارون الرشيد موجود فى كل مكـان ومتنكر دائمًـا .. العـدد

أربعون مهم جدًا وكذلك العدد ثلاثة .. كل النساء خائنات تقريبًـا .. الجان فى كل مكان .. كل إنسان ينشد الشعر فى أية لحظـة ، وطريقة استحسان الشعر هى أن يشق المرء ثيابه ويغشى عليه .. العطور مهمة جدًا ومن علامات الترف .. سـوف تلاحظـين المساواة الكاملة بين الأديان والتسامح الشديد .. قلت للأوروبيين إن اليهود لم ينالوا قط تدليلاً كالذى نالوه فـى العـصر الـذهبى الإسلامى ، فلم يصدقنى أحد .. »

راحت عبير تدون بسرعة كل هذا فى مفكرة صـغيرة ، فلمـا انتهت ساد صمت رهيب ..

أخيرًا قال لها المرشد :

ـ « هيا بنا .. الوقت ضيق !! »

8 ـ ما هى الزرباجة ؟

كانت عبير تركب بغلة وتمشى فى سوق شرقية ما ..

لم تعرف أين هى بالتحديد .. على الأرجح هى فى بغداد ...

أمامها يركض عبد من عبيد القصص حافيًا عملاقًا ، وخلفهـا يركض عبد آخر ..

إذن هى ثرية ومن الواضح أنها فاتنـــة ... إن هـذا المنظـر الغامض اللافت للنظر هو تقريبًا مشهد ظهور كل حسناء فى ألف ليلة وليلة ..

لاحظت ذلك الرجل الذى يلبس ثيابًا عـصرية نوعًـا ويـضع العوينات ، ويبدو مثل تشيكوف إلى حد ما .. كان يمشى جـوار البغلة بنفس سرعتها ويدندن شيئًا ثم يدون كلمات فـى مفكـرة يحملها ... لم تكن بحاجة إلى السؤال :

ـ « أنت الموسيقار الروسى ريمسكى كورساكوف طبعًا .. »

أحنى رأسه فى تهذيب وقال وهو يلهث مـن فـرط المـشى الحثيث :

ــ « بعينه .. أنا منهمك فى كتابة مقطوعة شــهرزاد التــى ستخلد اسمى .. لكن الفوضى التى حدثت فى الليالى كادت تــدمر إلهامى تمامًا .. »

قالت عبير وهى تركل خاصرة البغلة :

ــ « لا أعرف كيف يكتبون الموسيقا ، لكنــى فقــط أهنئــك عليها ، وأطلب منك ألا تتدخل أو تعوق مغامراتى .. »

ــ « هذا آخر شىء أريده .. »

وسرعان ما كان مشيه قد تأخر عن مسيرتها كثيرًا ...

توقفت البغلة عند متجر ثياب على جانب الطريــق ، وهــرع العبد إلى الداخل ثم عاد بالتاجر ، وهو شاب وسيم بــدا عليــه الذعر .. ثم رآها فبدا عليه الذهول فالإعجاب ..

ككل فتيات هذه القصص ازاحت الخمار قلــيلاً لتــسمح لــذلك السهم الفاتن بأن يخترقه ، وشعرت بنشوة كاملــة عنــدما رأت تأثير هذه الطعنة عليه ..

ــ « يا فتى .. هل عندك ثياب جميلة ؟ »

لم يكن عنده لكنه كعادة التجار قادر على أن يأتيها بما تريــد من التجار الآخرين ، وقد راح يركض هنا وهنــاك يــأتى لهــا بالعينات من الثياب وهى تختار فى كبريــاء .. هــذا يــصلح .. لا أعرف بصدد هذا .. ربما لو كان هذا اللون أغمق ..

ثم إنها سألته من هو ...

قال فى شىء من الحياء :

ــ « أنا ابن تاجر كبير من بغداد ، لكن أبى كان مولعًا باللهو فلم يترك لى إلا الديون .. لكنى استطعت بصعوبة بالغة أن أسدد الديون وأبدأ فى الكسب .. » ــ وراح يحصى ما أخذته وقال ــ "خمسة آلاف درهم .. ليس بالمبلغ الهين .. »

ثم صمت .. وأدركت أنه يخجل من أن يطالبهــا بالــدفع ... جميل .. ليس معها مال الآن ..

كانت الآن تعرف أنها جارية (زبيدة) زوجة هارون الرشــيد شخصيًا .. إنها بمثابة طفلتها المدللة .. لا مشكلة فــى شــراء الثياب الفاخرة فهى قادرة على الدفع ..

هكذا أخذت الثياب وانصرفت ..

ولم تدر أن الفتى لن ينام ليلته .. ليس بسبب القلق على المال .. إن أبطال ألف ليلة وليلة لا يسهرون لأسباب كهذه ، ولكن يسهرون بسبب الهوى وتباريحه ..

فى الأسبوع التالى عادت إلى السوق .. إلى نفس الشاب ..

كما توقعت لم يسألها عن المال ، وراح كالأبله يجلب لها أثوابًا وأقمشة جديدة .. إلا أنها قررت أن ترفق به هذه المرة فأخرجت تلك الزكيبة المألوفة المليئة بالذهب وقالت فى دلال:

ـ « هات الميزان وزن مالك .. »

وبالفعل دفعت ثمن ما أخذته وأجزلت له العطاء .. ثم سألته بطريقة عابرة :

ـ « هل لك زوجة ؟ »

قال متلعثمًا :

ـ « لا .. أنا غير متزوج .. »

تهيأت للرحيل مع عبديها ..

وعند ركن الشارع انتحت جانبًا بأحد العبدين وطلبت منه أن ينقل للفتى الرسالة التالية .. هى ترغب فى الزواج منه .. سيدتها (زبيدة) موافقة بشرط أن ترى الفتى جيدًا .. على الفتى أن يذهب لقصر هارون الرشيد ليخضع لمقابلة شخصية مع السيدة (زبيدة) .. الاختبار الأهم هو ألا يشعر به أحد .. فإن شعر به أحد كان الثمن عنقه ..

ذهب العبد للتاجر وتم الاتفاق معه ...

وفى المساء ذهب التاجر الشاب المفعم حبًا إلى المسجد الذى بنته زبيده على نهر دجلة ، فصلى العشاء ثم أمضى الليل هناك ..كانت هذه هى التعليمات ..

فى المسجد كانت هناك صناديق فارغة ، وعرف الفتى أن عليه أن يتوارى فى صندوق منها ...

تم كل شىء بسرعة وتم نقل الصناديق إلى القصر. وعندما انفتح الصندوق وجد الفتى نفسه وسط عشرين جارية بارعة الحسن ، ووسطهن السيدة زبيدة شخصيًا ..

إنها سيدة أريبة بالتأكيد .. من تنجح فى السيطرة على هارون الرشيد وتظل زوجته كل هذه الأعوام هى امرأة تملك دهاء عدة قواد ..

لم تكن عبير فى المجلس .. كانت واقفة وراء ستار تراقب اللقاء .. تراقب أسئلة زبيدة الدقيقة الصارمة للفتى .. تريد أن تعرف من أبوه ومن أمه ومن أين جاء بماله .. ثم فى النهاية قالت :

ـ « أنا موافقة .. سوف تقيم معنا لمدة عشرة أيام إلى أن أطلب الإذن من الخليفة .. »

كاد الفتى يطير فرحًا وهوى على الأرض يلثمها بين قدمى زبيده .. بينما أبدت هى التأفف الأرستقراطى المناسب ..

تم كتب الكتاب وصارت عبير عروسًا للفتى ..

جلست عبير فى قمة زينتها إلى مأدبة العروسين ، وكانت المأدبة مليئة بأصناف لا يمكن تبينها .. إنه المطبخ العباسى المترف ..

كان هناك طبق عملاق فيه شىء لا يمكن فهمه .. ربما طاووس محمر أو حوت مدخن أو حوت التهم طاووسًا .. مالت عبير على الجارية جوارها وسألتها عن هذا فقالت :

ـ « خافقية زرباجة محشوة بالسكر ، وعليها ماء ورد ممسك ، وفيها أصناف الدجاج المحمرة ، وغيره من سائر الألوان مما يدهش العقول .. »

ـ مما يدهش العقول ؟.. وما دخل السكر وماء الورد بالدجاج ؟.. على كل حال هذا دائمًا هو وصف الطعام فى قصص ألف ليلة وليلة ، كما أن للهوى عبارات محددة تتكرر فى كل مرة ، مما يدل على ان مؤلفى ألف ليلة وليلة كانوا يصفون ما يتحلب لعابهم من أجله.. هذا نوع من إشعال الخيال الشعبى ..

الفتى كان يحب الزرباجة كما هو واضح لأنه انقض عليها انقضاضًا ، لدرجة أن (عبير) لم تفهم مكوناتها .. فقد لوث لحيته وفمه وأنامله كطفل يلتهم (السريلاك) ..

انتهى من الأكل فمسح يديه وتجشأ بصوت عال ، بينما جاءت الزفة .. الزفة مجموعة من الجوارى يحملن الشموع ويقدن العروسين إلى المخدع ..

لما صارت وحدها معه فى ضوء الشموع ، وضع يده على كتفها .. هنا اكتشفت شيئًا .. هى لا تعرف ما هى الزرباجة لكن لها ألعن رائحة يمكن وصفها عندما تلتصق باليد ..

صاحت فى جنون :

ـ « ألم تغسل يدك ؟ »

قال فى ارتباك :



ـ « بلى .. لكن .. نعم . اكتفيت بمسحها .. »

كانت الرائحة تثير جنونها... وأدركت أنها تمر بحالــة مـن الهستيريا لا مثيل لها .

صرخت منادية الجوارى :

ـ « تعالين حالاً !! »

امتلأ المخدع بالجوارى الفاتنات ، لكنهن مـع العـدد الكبير صرن مرعبات .. وقالت لهن :

ـ « هاتوا (متولى)... ليقطع يده التى أكل بها الزرباجة ولم يغسلها ! »

قطع يد ؟.. لماذا قالت هذا ؟.. الأمر لا يستحق هذه الضوضاء والفتى لم يأكل فسيخًا مثلاً ليستحق !.. لكنها أدركت أنها تنفـذ خطوات قصة ما ..

لما بدت الجوارى غير متحمسات لهذا العقاب أمرتهن عبيـر بأن ينادين متولى .. اسم غريب جدًا لجلاد لكنه ما حدث ..

قيدت البنات الفتى على حين قطع متولى بالموسى إبهامى يديـه وإبهامى قدميه .. الفتى يصرخ فى جنون صراخ من يُقطع إبهاماه ..

ـ « أقسم بالله ألا آكل الزرباجة بعد اليوم ، إلا وقـد غسلت يدى مئة وعشرين مرة بعدها .. أى !... »

ثم فقد الوعى ..

الآن كان على (عبيـر) أن تعنى به وترفـق به حتى يسترد صحته .. كأنها هدأت لما سمعت هذا القسم العجيب ..

عادت الأمور لمستقرها بعد هذا ، كأنه من الطبيعى جـدًا أن تقطع الزوجة أصابع زوجها لأنه لم يغسلها .. لقد عادا زوجـين متحابين سعيدين .. لكن الفتى ظـل يحمـل عقـدة الزرباجـة ويتحاشى أكلها فى أى وليمة ، إلا بالطبع لو كان ينوى أن يغسل يديه 120 مرة ..

دونت عبير تفاصيل هذه القصة ، ولم تدر كيف تستفيد منهـا .. أضف لهذا أنها تافهة ، والأسوأ أن يكون مغزاهـا الأخلاقـى هو: اغسل يدك قبل الأكل وبعده ..

على كل حال هى ما زالت تستكشف عوالم القصص ..

* * *

وجدت نفسها فى بلاط شرقى يبدو كأنه لملك صينى أو يابانى ..



على عرش عظيم جلس الملك العظيم الذى يجيد العربية كأهلها ككل ملوك ألف ليلة وليلة .. وكان متحمسًا يصدر الأوامر لرجاله :

ـ « أريد أن تكتبوا هذه القصة بماء الذهب ! »

أية قصة ؟.. لابد أنها رائعة ..

على كل حال أية قصة تروق للوالى أو الحاكم تكتب بماء الذهب .. كما أنها دائمًا (لو كتبت بالإبر على آماق البصر لصارت عبرة لمن يعتبر) . كل القصص مذهلة ويجب تخليدها للأجيال القادمة .

أمام الملك الصينى كان رجل يلبس كخياط .. كيف يلبس الخياط ؟.. هذه أسئلة بديهية لا داعى لإضاعة الوقت فيها ..

كانت هناك جثة راقدة على الأرض على جانبها .. أما لماذا أرقدوها على جانبها فلأن صاحبها أحدب .. وكان فمه مفتوحًا مع علامات اختناق واضحة تتبدى فى لونه ..

لو كانت عبير ذات خبرة طبية لشقت قصبة الرجل الهوائية وغرست فيها أنبوبًا ، أو لقامت بمناورة هايمليخ التى تحول أحشاءه إلى مدفع يقذف بما استقر فى الحنجرة ..

القصة كما فهمتها عبير هى أن الخياط كان متهمًا بقتل الأحدب .. الخياط يؤكد أن الوفاة قضاء وقدر ، لأنه دعا الأحدب للعشاء فى بيته .. كان هذا العشاء سمكًا مقليًا وخبزًا وليمونًا. يبدو أن الأحدب ازدرد قطعة سمك هائلةبما فيها من شوك.. فتورم حلقه ومات .. ولم يعرف الخياط ما يفعله فتخلص من الجثة ..

كان هناك طبيب .. والطبيب فى ذلك العصر كان على الأرجح مزينًا ـ حلاقًا ـ وقد راح يتفحص المتوفى ويفتح حلقه .. ثم هتف :

ـ « الأحدب حى يا ملك الزمان ! »

كان الملك يحب هذا الأحدب فعلاً ، لأنه يضحكه .. وقد بدت له ميتته قاسية فعلاً لأنه يعنى مستقبلاً مملاً .. دنا فى وقار من المشهد أكثر ومط عنقه .. طبعًا كان من المفهوم أنه سيقطع رقبة المزين لو كان يهذى ..

أخرج المزين من حزامه عدة طبية كاملة : مكحلة بها دهان. دهن به عنق الأحدب الميت ، ثم أخرج كلابين وفتح فم الرجل وبعناية التقط قطعة السمك ...

هنا فقط سعل الأحدب وعطس ثم نهض وهو يردد :

ـ « لا إله إلا الله .. محمد رسول الله .. »

انفجر ملك الصين يضحك .. يهتز .. يضحك .. عيناه دامعتان . كرشه يهتز .. ثم فقد وعيه وهو ما بـدا غريبًـا لعبيـر لأن الموقف لم يكن ظريفًا لهذا الحد ..

لما أفاق الملك أمر بكتابة القصة بماء الذهب ، ثم خلع علـى الخياط والمزين وعبير ..

قالت عبير فى خجل :

ـ « لكنى لم ... »

لكن أحد العبيد نظر لها نظرة مخيفة .. ليس هذا وقت الرفض والقبول ..

هكذا انصرفت (عبير) وهى تفكر فى هذه القصة .. أحـدب حسبوه مات لكنه لم يمت .. ما الجديد فى هذا وما الطريف ؟

لو حكت هذه القصص لشهريار لكان عليها أن تحفـر قبرهـا أولاً .

9 ـ مقلب ساخن ..

أحيانًا يكون الانتقام شهيًا .. خاصة عندما يقوم به زوج غيور ..

المشكلة هنا أن الزوجين هما اللذان اسـتدرجا الفتـى لهـذا الشرك ، وهذه تيمة تتكرر كثيرًا فى ألف ليلة وليلة ..

كانت عبير متزوجة .. المكان هو بغداد ..

هناك نافذة جميلة ذات طرز عربى رائع من النوع الذى نسميه عندنا (مشربية) ، ومنها كانت تطل على زقاق .. الزقاق فيـه متجر خياط على الجهة الأخرى ..

كان الخياط جالسًا وقد وضع رجلاً على رجل وراح يخيط بعـض قطع الثياب ، ثم نظر لأعلى فالتقت عيناه بهـا .. الكهربـاء !.. السحر ! رأت عبير فى عينيه الانبهار المجنون بها ، وعرفـت أنها على الأرجح ستكون فاتنة فى أغلب هذه القصص ..

هكذا لم يعد يخيط شيئًا تقريبًا .. أو للدقة صار يخيط أصابعه إلى بعضها ..

زوج عبير التقط الخيط .. ألقى نظرة على الزقاق وعرف مـا هنالك ..

من دون كلمة حمل مجموعة من الأقمشة ونزل للخياط وطلب منه أن يفصل له هذا القماش قمصانًا ..

كان الخياط قد تحول بفعل الهوى إلى إنسان آلى ، لــذا هـز رأسه موافقًا وراح يخيط ويخيط ..

فى نهاية اليوم جاءه الزوج ليأخذ عشرين قميصًا وسأل عـن الثمن ..

هنا نظر الخياط إلى عبير فى المشربية ، فلوحت بيدها أن لا .. لا تأخذ منه شيئًا !.. هذه القمصان تخصها .

هكذا لم يتقاض شيئًا .. وقع فى عملية نصب ممتازة تعتـصر جهده كله ..

* * *

ككل قصص ألف ليلة وليلة لابد من جارية تأتى للرجل وتخبره أن سيدتها ترغب فى لقياه .. أين ؟.. فى الطاحونة تحت البيت ..

هكذا دق قلب الخياط واجفًا وعندما جـاء الليـل اتجـه إلـى الطاحونة .. الظلام دامس لكن الغرام يجعله شجاعًا ..

ذهب زوج عبير إلى الطحان وطلب منه تلك الخدمة ... هناك ثور آدمى فى الطاحونة وهو بحاجة إلى بعض التأديب ..

هكذا ذهب الطحان إلى الطاحونة فى الظلام ، وأمسك بالخياط وربطه فى حجر الطاحون وهو يقول :

ـ « هذا الثور كسول برغم أن كمية القمح المطلوبـة منـى كثيرة .. سوف أربطه فى الحجر حتى الصباح ! »

وهكذا لم يجرؤ الخياط على الكلام ، ووجد نفسه يدير الحجـر فى صمت .. بينما تنهال عليه ضربات السياط ..

لم ينقذه إلا الفجر وقدوم الجارية لتحرره .. وتعتذر له ، لكنه كان عاجزًا عن الكلام ..

عاد للسوق والمتجر كل عظمة فى جسده تؤلمه ، فقـرر أن ينسى كل شىء عن الحب .. لكن (عبير) أرسلت له الجاريـة كالعادة :

ـ « سيدتى مشتاقة لك وهى تقف فوق السطح بانتظارك .. »

خرج الرجل متشككًا خائفًا ليكلم عبير .. فقالت له من أعلى :

ـ « لماذا قطعت التعامل بيننا ؟.. أقسم بالله إن ما حدث فـى الطاحونة لم يكن لى فيه ذنب .. »

وقالت له الجارية إن زوج عبير سيبيت خارج البيت هـذه الليلة . هذا سيتيح فرص الوصال ..

هكذا ابتلع الثور الأحمق الطعم وذهب فى المساء إلـــى حيـــث كانت عبير .. مد يده لها لكن يدًا أخرى هوت على قفاه ووجـــد نفسه يطير فى الهواء ..

وسرعان ما وجد الزوج يحمله إلى صاحب الشرطة ـ وهـــو الاسم القديم للمخفر ـ فتولوا ضربه علقة ساخنة بالسياط ، ثـــم أركبوه جملاً وطافوا به شوارعِ بغداد .. طبعًا كانت هذه أســـعد لحظة فى حياة الصبية الذين تولوا ضربه بالطوب وسكبت النساء الماء القذر عليه ...

لم تنته آلامه لأنه سقط من فوق الجمل فكسرت قدمه .. هكذا صار أعرج ....

هذه هى القصة كلها !....

مقلب لا بأس به لكنه لا يصلح كى يكون حكاية .. دعك مـــن أن الحب كما هو واضح لا ينتصر أبدًا فى قصص ألف ليلة وليلة هذه ..

كانت عبير تشعر بمزيج من التوتر وخيبة الأمل وهى تنطلـــق لتعيش قصة أخرى ....

* * *

هكذا راحت تجمع القصص .. تصغى وتتابع وأحيانًا تشارك ..

لاحظت أن هناك مجموعة من القصص تتشابه كثيرًا .. هناك شاب وسيم فى متجر ، تاجر أو خياط ، ثم تظهر له فتاة فاتنـــة تذهل عقله .. بعد هذا يتورط الفتى فى شىء ما .. هنـــاك عـــدد أكثر من اللازم من الأطراف المبتورة .. أكثر من شاب فقد يـــده لأنه اتهم بالسرقة ..

هل هذا يحمل بصمة مؤلف واحد ؟...

مثلاً القصة التى كانت تعيش أحداثها هذه الأيام وكانت تـــدور فى مصر بالذات ، كانت أحداثها كما يلى :

هناك شاب وسيم فاخر الثياب يأكل مع تاجر مسيحى ، والملاحظ أن الشاب لا يستعمل سوى يده اليـــسرى ممـــا يثيـــر فـــضول المسيحى ..

سأله التاجر:

ـ « لماذا تأكل بيدك اليسرى ؟.. هل باليمنى عاهة ما ؟ »

ككل واحد من أبطال ألف ليلة وليلة كان الشاب جاهزًا ببيتـــى شعر :

ـ خليلى لا تســـأل على ما بمهجتى

مـــن اللوعـــة الحـــرى فتظهر أسقام

ـ وما عن رضا فارقت سلمى معوضًا

ولكـــــن للضـــــرورة أحـــــكام

طبعًا مقطع شعر ردىء .. معظم أشعار ألف ليلة وليلة رديئة لكن لها تأثير السحر على الأبطال ، الذين يغشى عليهم أو يـــشقون ثيابهم أو يصرخون من الطرب فترتج القاعة من هول صرختهم ..

ثم إن الشاب أخرج ذراعه المتوارية خلف ثيابه فاتضح أنهـــا مبتورة ..

بدأ يحكى قصته .. معظم أبطال ألف ليلة وليلـــة لهـــم قـــصة طويلة معقدة ...

لقد جاء الفتى من بغداد ليبيع القماش ، وذهب إلى مكان يـــدعى قيصرية جرجس حيث حاول أن يبيع بضاعته مرة واحدة .. لـــم يستطع سوى أن يحصل على أمواله بالتقسيط ... وموعد القسط هو الاثنين والخميس من كل أسبوع ..

ـ « دخلت الحمام يوماً من الأيام وخرجت إلى الخان ودخلت موضعى ، وأفطرت على قدح من الشراب ، ثم نمـــت وانتبهـــت فأكلت دجاجة وتعطرت ، وذهبت إلى دكان تاجر يقال لـــه: بـــدر الدين البستانى فلما رآنى رحب بى وتحدث معى ساعة فى دكانه"

هنا ظهرت عبير كالعادة ..

فتاة فاتنة تذهب العقول جاءت لتأخـــذ قطعـــة مـــن القمـــاش المشغول بالذهب . سوف تنقد بدر الدين ماله بعد أيام ، لكن بدر الدين طلب ماله حالاً .. لأن الفتى جالس ينتظـــر وهـــذا موعـــد حصوله على القسط الأسبوعى الخاص به ..

نظرت عبير إلى الفتى نظرة من تلك النظـــرات التـــى تـــذهل الرجال ، وابتسمت .. وكانت تعرف ما سيحدث .. الشهامة ســـوف تتحرك به إلى درجة انه سيعرض عليها أن تأخذ ما تريد وتسدده فيما بعد .. فيما بعد .. ربما بعد ألف عام ..

إن رجال ألف ليلة وليلة يضعون الحب والجمال فى المرتبـــة رقم واحد. وهم أقرب إلى البلاهة يسهل خداعهم .. إن هرموناتهم هى صاحبة الكلمة الأولى فى أى قرار يتخذونـــه ..

لما رحلت الفتاة ظل الفتى يحدق فى الفراغ مذهولاً ، ويبـــدو أنه نسى أين هو ..

قال التاجر (بدر الدين) بلهجة العارفين :

ـ « إنها غنية .. هى ابنة أمير ، وقد ورثت ثروته .. »

الآن يعود الفتى إلى الخان الذى يقيم فيه ، فيمارس أهم دور لأبطال ألف ليلة وليلة .. لا ينام .. لا يأكل .. مقـروح الجفـن لا خليل له سوى لواعج الغرام وتباريح الهوى ..

ومن جديد تأتيه الجارية لتبلغه أن سيدتها تهيم به حبًا ، وأنها تدعوه للقائها .. عليه أن يصلى الجمعة ثم يتوجه إلى باب زويلة ثم يسأل عن قاعة بركات النقيب المعروف بأبى شامة .. هذا هو عنوانها .. لا تنس أن الفتى عراقى والوصـول لهـذا العنـوان مشكلة ..

خليط عجيب جدًا من التدين والـصلاة والخمـر والعربـدة .. خليط لا يمكن فهمه فعلاً ، لكننا اعتدناه فى صفحات ألـف ليلـة وليلة ..

* * *

دق الفتى الباب ففتحت له جاريتان كأنهما قمران ، وقالتا له :

ـ « أدخل .. إن سيدتنا تموت شوقًا لك .. »

كانت القاعة مغلقة بسبعة أبواب ، وفى دائرها شبابيك مطلـة على بستان فيه من الفواكه جميع الألوان ، وبه أنهار دافقة وطيور ناطقة ، وهى مبيضة بياضاً سلطانياً يرى الإنسان وجهه فيهـا ، وسقفها مطلى بذهب وفى دائرها طرزات مكتوبة باللازورد ، قد حوت أوصافًا حسنة وأضاءت للنـاظرين ، وأرضـها مفروشـة بالرخام المجزع ، وفى أرضها فسقية ، وفى أركان تلك الفسقية الدر والجوهر مفروشة بالبسط الحرير الملونة والمراتب ..

هذا هو وصف الأماكن غالبًا ... كل مكان مذهل يذهب بالعقول ..

أما عن الطعام الذى قدمته عبير فهو كالعادة :

« سفرة من أفخر الألوان من محمر ومرق ودجاج محشو .. »

بعد الأكل قدموا له الطست والإبريق فغسل يده ثم تطيب بماء الورد والمسك .. هذه هى الطقوس ..

فى الليلة التالية عاد الفتى .. وقد غلبته عادة سيئة هى أن يترك لها فى كل مرة منديلاً به دنانير ، كما أنه يعد فى كل يوم عشاء فاخرًا ويرسله لعبير مع (حمّار). الطريقة القديمة لخدمة الدليفرى ..

يومًا بعد يوم بعد يوم ... لقد أفلس الفتى ..

إن الإفلاس مع الرغبة فى البذخ مع الحب عوامل ثلاثة تقود المرء إلى الجنون ..

والجنون الذى وقع فيه الفتى هو أنه كان ذاهبًا للقاء حبيبته ، عندما اصطدم بجندى .. لا أحد يسرق جنديًا ما لم يكن مجنونًا ، والفتى مجنون ... مد يده إلى صرة المال المعلقة فى نطاق الجندى وأخذها ..

هنا نقول من جديد إنه ما من أحد يحاول نشل جندى وهو لم ينشل فى حياته ما لم يكن مخبولاً ، والفتى مخبول .. هكذا شعر الجندى بيد الفتى الثقيلة وهى تنتزع ماله ..

هوى على وجهه بصفعة ثم اثنتين .. وسرعان ما التف الناس حول المشهد المهيب وتلقى الفتى علقة ممتازة .

حدث هذا أثناء قدوم الوالى ..

كانت السرقة ثابتة ، والشهود كثيرون .. وهكذا أصدر الوالى أمره بقطع يد الفتى اليمنى ..

هكذا وقف الفتى ينزف وقد فقد يده اليمنى للأبد .. ورق له قلب الواقفين ، حتى أن الجندى ترك له الكيس بما كان فيه من مال .. وقال له إن السرقة حرام ، فأنشد الفتى :

ـ والله ما كنت لصًا يا أخا ثقة
ولم أكن سارقًا يا أحسن الناس
ولكن رمتنى صروف الدهر عن عجل
فزاد همى ووسواس إفلاسى

يجب على المرء أن يتحلى بالصبر .. هذا الفتى قطعت يده منذ عشر دقائق ، ولا شك أنه يتألم كأنه فى الجحيم ، وينزف بلا توقف ، لكنه قادر على أن يتكلم شعرًا .. دعك من المنطق الغريب .. والله لم يسرق ؟.. إذن ما هو تعريف السرقة ؟

لقد عاد الفتى إلى عبير ولم يخبرها بما حدث له .. قال إنه مرهق ويريد أن ينام ..

يبدو أنه من السهل فى ألف ليلة وليلة أن تخفى أن يدك مقطوعة . لقد قلقت عبير وجاءته بشىء من الطعام والطعام كالعادة هو : « سفرة من أفخر الألوان من محمر ومرق ودجاج محشو .. »

ـ « لماذا لا تتكلم ؟.. احك لى عما حدث لك اليوم .. »

قدمت له كأسًا من الشراب فرأته يتناوله بيده اليسرى ..

ـ « لماذا تستعمل يدك اليسرى ؟.. هل تغير مركز التحكم فى مخك ؟ »

لكن الفتى أصر على ألا ترى يده ..

بعد عدة كئوس نام الفتى نومًا عميقًا .. هكذا مدت عبير يدها إلى كمه تعبث .. هكذا رأت اليد المقطوعة .. وفى حزامه وجدت كيس المال .. بما ان النساء عباقرة فقد استنتجت على الفور أنه سرق وقطعت يده .

لم تنم ليلتها بل ذهبت لتذبح له أربع دجاجات ليعـوض الـدم الذى نزف منه ..

كانت الآن تشعر بشفقة حقيقية عليه مع زهو أنثوى مزعج .. الرجل الذى يحب امرأة لدرجة أن يبدد كل ماله ويسرق وتقطـع يده ، لهو عاشق لا تلقاه المرأة كل يوم .. هى لا تبالى بالمال .. لديها أكثر من حاجتها لكنها بالفعل بحاجة إلى الحب ..

واستدعت الشهود كى تكتب كتابها على الفتى .. ثم قالت لهم :

ـ « اشهدوا أن جميع مالى الذى فى هذا الصندوق وجميـع ما عندى من المماليك والجوارى لهذا الشاب .. »

المفاجأة هنا هى أنها لم تنفق مليمًا من المال الذى كان يعطيه لها .. كانت تحتفظ به فى صندوق من أجله .. هكذا صارت السرقة وقطع اليد وسيلة للحصول على الحب الأبدى ... يبدو أن الحب من غير يد يمنى له مذاق ألـــذ ...

المفاجأة الأجمل هى أنها ماتت بعد ذلك بخمسين يومًا فتركت له ثروتها كلها .. لقد صار الفتى ثريًا !



10 ـ يجب صنع قصة ..

تجمعت القصص عند (عبير) .. قصص كثيرة جدًا ..

كانت تشعر بتعاسة لأنها لا تعرف كيف تتحرك .. كان شهريار قد أعطاها إجازة لمـدة أسبوعين تحاول فيها اكتساب قـصص جديدة .. قصص لها ذات طابع ما كانت أختها تحكيه .. لا تريـد قصصًا سخيفة عن مدن أوروبية تجتاحها الثورات ، أو صـيادى لؤلؤ مكسيكيين ..

عرفت أن المرشد نجح بصعوبة فى إقناع شهريار بالتخلى عن مزاجه الليلى لمدة أسبوعين ، ويبدو أنه أعطاه مشغلاً صـغيرًا للأقراص المدمجة كى يستمتع بمشاهدة الأفلام فى فراشـه كـل ليلة .. لكن (شهريار) فظ لا يجيد سوى قطع الرقـاب ، وقـد دمر الجهاز على الفور باستعماله الأخرق ..

هكذا عادت إلى القصر مهمومة كاسفة البال ..

استقبلتها الجوارى فقمن بإدخالها الحمـام ونظفـن جـسدها وعطرنها .. ارتدت ثيابًا جديرة بالأميرات ، لكنها كانت مهمومة فعـلاً.. لا تضيعن وقتكن يا فتيات فى تصفيف شـعرى ، فهـذا

الشعر الجميل سوف يستقر على النطع بعد ساعات .. هذه الثياب الحريرية الفاخرة سوف تتلوث بالدم ..

كان أكثر ما يضايقها هو أن تحكى تلك القصص التى تنتهـى فجأة .. تقول (تمت) بينما المستمع يتهيأ للمزيد فيصاب بخيبة أمل وينظر لها غير مصدق .. هذه هى مشكلة مـا لـديها مـن قصص ..

جلست وطلبت قرطاسًا وريشة ومحبرة .. هذه أشياء يستحيل العثور عليها فى الحريم ، لكن الجـوارى اسـتطعن أن يجـدن بعضها ..

بدأت تكتب :

1 ـ الصياد الذى حسب أنه قتل الأحدب بشوك السمك . وكان على ملك الصين أن يفصل فى القضية .

2 ـ التاجر الذى خدعه الزوجان ووضعاه فى حجر الطحين .

3 ـ المزين الذى رأى عشرة رجال فحـسب أنهـم ذاهبـون لوليمة وانضم لهم .. طبعًا تبين أنهم ذاهبون كى تقطع رقابهم ! هناك قصة مماثلة بالضبط بطلها أشعب الطفيلى .

4 ـ شاب عاشق تم استدراجه إلى بيت حيث ضـــربه عبـــد اسود علقة ساخنة ، ،اصيب بالفالج بعدها.

5 ـ رجل أعور كان جزارًا اتهم بأنه يـذبح النـــاس ويبيـــع لحومهم .. المشكلة هى ان النـــاس رأوا جثثًـــا معلقـــة فـــى متجره ، وكانت هذه لعبة خبيثة من ساحر شرير .

6 ـ رجل دعاه أحد الخبثاء إلى مأدبة لا طعام فيها .. بل هو نوع من البانتومايم (التمثيل الإيمائى) .. وكان يسخر منـــه لكنه رد له الصاع صاعين.

7 ـ الفتى الذى سرق من أجل الحب وقطعت يده .

8 ـ الفتى الذى قطعت زوجته إبهامه لأنه لم يغسل يده بعـــد أكل الزرباجة !

9 ـ إلخ ... إلخ ......

سوف تحكى هذا كله من دون حماسة شاعرة بالارتباك وأنها سمجة ، وسوف ينتقل هذا كله لشهريار .. يجب على راوى القصة أن يكون أكثر الناس حماسة لها .. تستطيع سماع شهريار ينـــادى السياف كى يقطع عنقها .. وسوف يبحث فى الغد عن زوجة أخرى .

كانت جالسة أمام المرآة تحدق فى أغبى وأتعس وجه رأته فى حياتها ..

هنا انزاحت الستائر من خلفها ودخل شخص ما ..

شهريار ؟

ليس بهذه السترة السوداء والثياب الحديثة .. إنه المرشد كما هو واضح ..

يتقدم نحوها فى تؤدة وهو ينظر للأرض كما يفعلون فى أفلام الوسترن .. بلغ موضعها أمام المرآة فدس أنامله فـــى عـــروة حزامه وقال :

ـ « هل أنت جاهزة للسرد ؟ »

قالت فى غم :

ـ « تجربة فاشلة جدًا .. »

نظر للقرطاس الذى دونت عليه خواطرها ، ثم انفجر يضحك .. لم تفهم ما هو مضحك فى هذا كله ..

قال لها :



ـ « أنت وقعت على قـصص ممتـــازة .. قـصص ألهمت شهرزاد نفسها ... لكن لابد أنك لاحظت الطابع الواحد .. هذه القصص مصدرها مؤلف واحد بلا شك.. هناك دائمًا جو السوق وجو التجار والخياطين والأقمشة .. هناك فاتنة تظهر وتخلب لب رجل ثم يتلقى عقابه .. هناك بتر أطراف وبعض القصص فيها فقء عيون .. يمكننا من هذه اللبنات أن نصنع قصة واحدة طويلة ... »

ثم أخرج قطعة طبشور لا تعرف من أين جاء بها ، وبدأ يخط على الجدار الحجرى ..

التركيب المعروف لألف ليلة وليلة هو الحلقات المتداخلة .. هناك شكل القصص العنقودى كذلك ..

أولاً: هناك القصة المحورية Wraparound التى تبدأ كل شىء وتنهى كل شىء .. إنها قصة شهريار ودنيا زاد ... سوف تبدئين السرد بالطريقة التى تعرفينها ..

ثانيًا : هناك قصة محورية أصغر .. هذه هى قصة الخياط الذى يدعو الأحدب ليأكل عنده .. تنحشر شوكة سمك فى حلق الأحدب ويموت .. يتخلص الزوجان من الجثة .. هنا تقع بعض

المواقف الطريفة ، لأن كل واحد يصطدم بالجثة ويحسب أنه هو القاتل ... يحملان الجثة لجارهما الطبيب اليهودى ويفران ..هنا يجد الطبيب اليهودى نفسه فى موقف عسير .. يتخلص من الجثة فوق سطح جاره المسلم على أمل أن تأكلها الكلاب الضالة . يأتى الجار المسلم ويحسب الجثة لصًا يتربص به فيوكزها بالعصا .. هكذا يخيل له أن عصاه هى سبب موت الأحدب . يحمل الجثة ويتخلص منها عند جاره النصرانى ..النصرانى كان عائدًا فى الظلام فحسب الأحدب لصًا وراح يكيل له الضربات ، هنا مر حارس ليلى وحسب أنه رأى عملية قتل .. هكذا اقتاد النصرانى إلى الوالى .. يقرر الوالى إعدام النصرانى لكن المسلم يعترف بأنه القاتل .. قبل إعدام المسلم يعترف اليهودى أنه الفاعل .. قبل إعدام اليهودى يعترف الخياط أنه الفاعل .. وضع محير !.. سرعان ما يتصاعد الأمر إلى ملك الصين ونعرف هنا أنه كان يحب الأحدب لأنه مضحكه الخاص .. لهذا هو يريد قطع رقاب الجميع .

ثالثًا: هنا يقرر النصرانى أن يحكى قصة للملك لعلها تروق له .. إن ملوك ذلك العصر يتركون القتلة أحرارًا لو كانت لديهم قصة مسلية . عملية الحكم مزاجية تمامًا وتخضع لانبساط الرجل .

تكوين القصة بهذه الطريقة يشبه أغنية (عبد الحليم حـافظ) الشهيرة (مبسوط يا سيدى ؟) ؛ حيث يغنى للباشا أغانى قديمة لعله يصفح عنه ولا يدخله السجن .. وفى كل مرة يصر الباشـا على أنه لم يستمتع بما يكفى . سوف يحكى النصرانى أنه استضاف شابًا يصر على الأكل باليد اليسرى .. الشاب يحكى لـه قـصة الغرام الذى دفعه للسرقة .. طبعًا لم ترق القصة للملك .. وهكذا ..

رابعًا : يحكى له المسلم قصة الشاب الذى لم يغسل يده بعـد الزرباجة . لكن الملك ما زال مصرًا على أن يعدم الجميع .. هكذا ..

خامسًا : يحكى له اليهودى قصة عن شاب يوشك على الزواج من فتاة حسناء ، ويحضر المزين ليحلق ويشذب شعره .. المـزين ثرثار جدًّا كعادة الحلاقين .. لا يكف عن الكلام ثانية واحدة ..

سادسًا : يحكى المزين قصته عندما رأى عشرة رجال فحسب أنهم ذاهبون إلى وليمة. تبين أنهم ذاهبون للخليفة كـى يقطـع أعناقهم .. بعد قطع أعناق عشرة وجد الخليفة العدد زائدًا فطلب من المزين أن يحكى قصته .. يقول المزين للخليفة إنـه رجـل طيب وإنه أفضل واحد من أخوته الخمسة :

الأخ الأول هو الأحمق الذى ربطوه فى حجر الطاحون ..

الأخ الثانى هو الذى كاد العبد يفتك به وأصيب بالفالج .

الأخ الثالث هو الأعور الجزار الذى اتهموه ببيع لحوم البشر .

الأخ الرابع هو بطل أو ضحية محاولة نصب أخرى .

الأخ الخامس هو الذى تلقى دعوة للعشاء مع ممثل بانتومايم .

سابعًا : يسر الخليفة بالقصة ويعفو عن المزين .

ثامنًا: نعود إلى (ثانيًا).. ما زلنا عند ملك الصين ، وما زالت جثة الأحدب سؤالاً ينتظر الجواب. هنا يمد المزين يده فى حلـق الأحدب وينزع الشوكة .. فيعود الأحدب للحياة ..

تاسعًا : نغلق الدائرة ونعود لشهريار ودنيا زاد !.. التى تبـدأ قصة أخرى .....

أهنئك .. لقد انتهيت لتوك من تأليف قصة الخياط والأحدب ..

هتفت عبير مصفقة بيديها :

ـ « أنت بارع حقًّا ! »

قال فى غرور:

ـ « طبعًا .. هذه القصص تمنحك عشر ليال علـى الأقـل .. أنت تفهمين الآن كيف تنسجين قصص ألف ليلة وليلة .. »

* * *

عندما جاء المساء كانت (عبير) جاهزة ..

وعندما دخل شهريار المخدع بقامته الفارعة وعطره وجثتـه العملاقة ، وتمدد على الفراش ينتظر القصص التى ترضى شهوة السمع بعد ما نال شهوة الطعام والنفوذ ..

هنا كانت (عبير) مستعدة لتحكى بصوتها الذى استعارته من زوزو نبيل ، مع صوت موسيقا كورساكوف الساحرة التى بدأت تكتمل :

ــ « بلغنى أيها الملك السعيد ، أنه كان فـى قـديم الزمـان وسالف العصر والأوان فى مدينة الصين ، رجل خياط مبـسوط الرزق يحب اللهو والطرب ، وكان يخرج هو وزوجته فى بعض الأحيان يتفرجان على غرائب المنتزهات ، فخرجا يوماً مـن أول النهار ورجعا آخره إلى منزلهما عنـد المـساء ، فوجـدا فـى طريقهما رجلاً أحدب رؤيته تضحك الغـضبان ، وتزيـل الهـم والأحزان ، فعند ذلك تقدم الخياط هو وزوجته يتفوزان عليه ثـم أنهما عزما عليه أن يروح معهما إلى بيتهمـا لينادمهمـا تلـك الليلة ، فأجابهما إلى ذلك ومشى معهما إلـى البيـت ، فخـرج الخياط إلى السوق وكان الليل قد أقبل ، فاشترى سـمكاً مقليـاً وخبزاً وليموناً وحلاوة يتحلون بها ، ثم رجع وحط السمك قـدام الأحدب وجلسوا.................. »

11 ـ يونان وجان ..

واقفة على ضفاف (دجلة) تفكر فى القصة الجديدة ..

كانت فى الليل تحكى بنجاح تام قصتها (الأحدب والخياط) .. وقد راقت لشهريار جدًا ، وكانت تدرك ذلك من اتـساع عينيـه وتسارع تنفسه .. الطفل الكبير قاطع الرقاب قد وجد ما يريد ..

لكن كانت هناك ملاحظتان لم تجد لهما تفسيرًا ...

منذ أيام يلاحقها ذلك الرجل . رجل يلبس ثياب العرب فى ذلك الزمن ، لكنه يبدو مختلفًا .. يبدو اجنبيًا أو هو أجنبى فعلاً. كلما نظرت خلفها رأته فى مكان ما ، والأسوأ أنه يتظـاهر بأنـه لا يراها وأنه موجود بحكم الـصدفة .. بـالطبع لا يلاحقهـا فـى المخدع ، لكنها استطاعت أن ترى هذه الخرزة الصغيرة المتدلية من الستار فى أعلاه ، وقد فحصتها فأدركت أنها تشبه أجهـزة التنصت فعلاً ..

لماذا ؟.. هل يراقبها شهريار ؟.. هل يشك فيها ؟.. إنه لا يثق بأية امرأة ومن الطبيعى أن يشك ، لكن كيف ولمـاذا يـستعين بالتكنولوجيا المتقدمة بدلاً من إرسال أحد البـصاصين ؟.. إنـه

لا يفهم شيئا فى التقنيات ، والدليل أنه أتلف مشغّل الأقراص بعد ثلاث دقائق ..

ظل هذا السؤال بلا جواب ..

الاحتمال الوحيد هو أن يكون من يراقبهـا هـو نفسـه مـن يتنصت عليها .. ولكن لماذا ؟

كانت قد اعتادت أن ترى المهتمين بألف ليلة وليلـة حولهـا لكنهم لا يضايقونها... قابلت كورساكوف أكثر مـن مـرة فهـز رأسه وواصل الدندنة .. وقابلت جالان يكتب مذكرات .. لكنهم لم يخفوا وجودهم ..

على كل حال لا وقت تضيعه فى هذا الهراء .. إن الأسد جائع وبحاجة إلى قصص ، وعليها أن تبتكر له بعضها بسرعة ...

* * *

كان ذلك الصياد العجوز يحمل شبكته الثقيلة ويتجه للماء ..

قالت عبير لنفسها إن الرجل صياد .. بشرى خير !... الصياد له أهمية بالغة فى ألف ليلة وليلـة ، وعلـى الأرجـح سـوف يستخرج زجاجة فيها جنى أو حذاء قديمًا أو صندوقًا فيه جثة ..

الخ .. المهم أنه سيجد شيئًا مثيرًا ... توشك أن تعتقـد أن كـل أبطال ألف ليلة وليلة أمراء أو صيادون ..

توارت وراء شجرة وراحت تراقب الموقف ..

كان الصياد قد وجد صيدًا ثقيلاً ، فبدأ فصل من (العجوز والبحر) لهيمنجواى ، وهو يقاوم ويجاهد كى يخرج الشبكة .. سـاذج .. الشباك الثقيلة بهذه الدرجة لا تحوى إلا جثثًا على الأرجح ..

بالفعل هى جثة ، لكنها جثة حمار متعفن ...

أطلق الرجل أنينًا وعصر الشبكة ، ثم طرحها من جديد ...

كان يومًا أسود والفشل يتكرر بين زجاجات فارغة وزئر ملىء بالطين .. إلخ ..

المرة الخامسة جعلته يخرج قمقمًا من نحاس أصفر عليه خاتم سيدنا سليمان ... عندما تشترى زجاجة زيت فـإن لهـا شـكلاً مميزًا ، وكذلك الخل له شكل مميز .. فى ألف ليلة وليلة هذا هو الشكل المصطلح عليه لزجاجات الجن ...

توارت عبير وقد عرفت ما سيحدث ، فهى رأت فيلم (لـص بغداد) ..

الصياد فتح السدادة ، وهكذا انطلق لسان كثيف مـن الـدخان إلى عنان السماء مع ضحكة شمهورشية الطابع .. وبدأ الـدخان يتخذ شكل عملاق / عفريت .. عملاق له ذات الوصـف الـدائم للجن (رأسه فى السحاب ورجلاه فى التراب برأس كالقبة وأيـد كالمدارى ورجلـين كالـصوارى ، وفـم كالمغـارة ، وأسـنان كالحجارة ، ومناخير كالإبريق ، وعينين كالسراجين) .

احتبس نفس عبير وهى تدرك أن هذا الشئ قـادر علـى أن يراها ويفتك بها .. لتأمل أن يكون مثل الديناصورات لا يهـاجم إلا ما يتحرك ..

قال المارد للصياد بصوت زلزل المكان :

ـ « أبشر أيها الصياد .. »

ابتسم الصياد وتجعد وجهه العجوز ... لقد حان وقت الثـراء إذن ، لكن المارد قال :

ـ « أبشر بقتلك شرّ قتلة ! »

هنا بدأت عبير تتذكر القصة ..

المارد الذى كان يعمل عند سيدنا سليمان وعصاه ، فحبسه فى هذا القمقم .. بعد مئة عام تمنى المارد لو ينقذه أحد ليجعله ثريًا .. بعد مئة أخرى تمنى لو ينقذه أحد ليعطيه كنوز الأرض .. بعـد أربعمائة عام تمنى لو ينقذه أحد ليقتله !

بالفعل تمت القصة كما توقعتها :

الصياد فى مأزق ، لكنه يملك الحيلة .. السلاح الوحيد الـذى امتلكه الإنسان ومكنه من حكم العالم. هكذا يعرض على العفريت تحديه الشهير :

ـ « لا أصدق أنك كنت بحجمك الهائل ذلك أسير هذا القمقم .. »

العفاريت غبية وسهلة الاستفزاز ..

ـ « أنت رأيتنى أخرج منها .. »

ـ « أعتقـد أن الأمر كان يتعلق بلعبة بصرية أو خداع نظـر أو تنويم مغناطيسى .. »

قال العفريت من بين أسنانه :

ـ « أنت أحمق تمامًا .. انظر ! »



وهوب !.. غاب داخل القمقم من جديد ، فوثب الصياد ليغلق السدادة ويعود هو السيد ..

حمل القمقم إلى البحر وحمل الزجاجة ليرميها وهو يقول للجنى :

ـ « سألقيك فى البحر.. إن كنت أقمت فيه ألفاً وثمانمائة عام فأنا أجعلك تمكث إلى أن تقوم الساعة ، أما قلت لك أبقنى يبقيك الله ولا تقتلنى يقتلك الله ؟ فأبيت قولى وما أردت إلا غدرى فألقاك الله فى يدى فغدرت بك .. »

توسل له الجنى كثيرًا جدًّا ، لكن الصياد لم يكن بهذه الحماقة .. كلا .. لا يمكن أن يكون بهذه الحماقة أبدًا .. بل هو كذلك !

لقد صدق توسلات الجنى وقسمه الغليظ .. هكذا فتح له القمقم من جديد .

قالت عبير فى نفسها وهى ترى الدخان يحتشد فى السماء:

ـ « ضاع الصياد الأحمق ! »

بالفعل كان الجنى قد ركل القمقم ليغوص فى المحيط .. بمعنى أنه لا رجعة له .. عرف الصياد معنى هذه الخطوة وبلل سراويله

من الرعب .. كان الصراع قويًا بين (العفو عند المقدرة) و(لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) .. انتصرت المقولة الأولى للأسف .. ومن الواضح أن العفاريت لا تحفظ العهد ..

لم يستغرق الأمر وقتًا حتى هرس الجنى الصياد بإصبع قدمه .. ثم مسح بقاياه فى الرمل ، وحلق فى السماء وهو يضحك ضحكته الشمهورشية المجلجلة ..



12 ـ يونان وجان (ما زال صالحًا) ..

لم يكن المشهد محببًا وقد أمضت وقتًا طويلاً شاعرة بـالتقزز والهلع ..

لا تذكر أن القصة انتهت هذه النهاية المقتضبة الأليمــة .. كانت أطول .. نفس الفكرة التى تراودها مع قصــص جيمس بوند . لو كان الشرير أكثر عملية وحصافة لأعدم بوند وانتهـى الفيلم بعد عشر دقائق ، لكن الحاجة إلى حبكة تجعـل الـشرير يربط بوند فى فقاعة معلقة فى الهواء مربوطة بحبل مـشتعل .. الخ .. هذا يمنح بوند عدة ساعات يفر فيها ..

لا تعرف متى وجدت أنها تمشى فى بلاد يمكنها أن تخمن أنها بلاد الرومان. كانت تعمل مساعدة لطبيب مسن من الطراز الذى يسمونه (نطاسى) . وكان اسم الحكيم (رويـان) .. لمـاذا رويان ؟.. لأن هذه بلاد الرومان والملك يدعى يونان .. يبدو أن مؤلف القصة من المولعين بالسجع ..

كان الطبيب كأى واحد آخر من أطباء عصره .. يجيد الطـب والفلك والنباتات والأعشاب .. إلخ ..

كان دورها يتلخص فى أن تخلط له الأعشاب التى يطلبهـا .. وكانت مهنة لا بأس بها ..

إلى أن جاء اليوم الذى قال لها الحكيم فيه :

ـ « أعدى الأدوات والبسى ثيابًا نظيفة لأن الملك يونان يريد لقاءنا ! »

هذا شىء مذهل .. الذهاب للقاء الملك شخـصيًا .. القـصر والهيلمان والعبيد .. كل شىء رائع ما عدا الملك نفسه ... إنـه مصاب بالبرص .. على الأرجح هو الجذام لأن القـدامى كـانوا يخلطون بين المرضين ..

كان بشع المظهر ، وكان يلبس عباءة يسدلها علـى وجهـه معظم الوقت مما يجعله مرعبًا أكثر .. من حـين لآخـر تـرى ضمادات مبللة بالإفرازات أو الدم .. هذا لم يجعل المشهد أفضل ..

فحصه الحكيم على مهل ثم قال له :

ـ « مولاى .. علاجك سهل .. وسوف أفعلها من دون دهان ولا عقاقير .. »

ـ « كيف ؟.. لو فعلتها لأجزلت لك العطاء .. »



أرسل الحكيم (عبير) لتجلب له بعض الأدويــة ، ثــم قــام بخلطها ليصنع منها كرة وصولجانًا ..

ودخل على الملك ليناوله الكرة والصولجان.. ثم انحنى بــين يديه وقال :

ــ « سوف تمسك بهذين .. وتلعب بــالكرة طيلــة اليــوم .. الهدف هو أن تعرق كفك فيتسرب لها الدواء ويدخل جسمك .. عندما ينتهى اليوم عد للقصر واستحم ، ولسوف تجد أنك شفيت .. »

علاج يبدو مبهرًا ، لكن لابد من تجربته أولاً.. قد يكون مجرد لعب أطفال ..

وهكذا قضى الملك اليوم كله يلعب بالصولجان والكرة .. بــدأ العرق يخرج من جسده ويبلل كل شىء .. وقد نفــذ التعليمــات حرفيًا ، وعند المساء عاد للقصر فاستحم ونام ..

عادت عبير مع الحكيم إلى بيتهما بانتظار الغد . لم يفتهــا أن تلاحظ أن ذلك الرجل الذى يراقبها كثيرًا موجود هنا أيضًا . لقــد صارت هذه عادة فيما يبدو .. من هو ؟ وماذا يريد بالضبط ؟

فى الصباح كانت المعجزة ..

أخذ الملك حمامه ثم وقف أمام المرآة ... لا توجد قــروح .. لون الجلد متجانس جميل .. وجهه استعاد قدرته على التعبير ..

لقد شفى تمامًا !.. إن الحكيم رويان عبقرى فعلاً ..

هكذا عومل الحكيم وعبير مساعدته معاملة أفضل الأصــدقاء وفتحت لهما الخزائن .. وطلب الملك من الحكيم أن يكون جليسه وأنيسه طيلة عمره ..

فى كل يوم كان يقدم الهدايا للحكيم ومساعدته .. ويبقيه معه حتى المساء .. وهى معاملة لابد أن توغر النفوس فى النهاية ..

هنا بدأ مجرى الأحداث يتغير ..

* * *

قال الوزير الحقود الذى تشى ملامحه بالشر والحسد (لكــن الملك لا يرى هذا كعادة القصص) :

ــ « أهنئك بالشفاء يا مولاى ... لكن هناك نصيحة أرغب فى أن أقدمها لك .. »

بدا التوتر على الملك ، وارتسم على وجهه ذات التعبير الذى ارتسم على وجه عطيل من قبل عندما زرع ياجو الشك فى نفسه

نحو ديدمونه . يبدو أننى كنت أحمق .. لم أفهم المكيـدة التـى تدور من وراء ظهرى ..

ـ « إن هذا الحكيم عدو لك .. لكنه قد كـشف عـن قدراتـه الخارقة . استطاع شفاءك بكرة فى يدك.. فهو قـادر علـى أن يسممك بشىء تشمه .. إنه قوى جدًا .. »

حك الملك لحيته فى شرود وقال :

ـ « فعلاً .. هو قوى جدًا .. والعمل ؟ »

قال الوزير فى براءة :

ـ « اضرب عنقه .. هذا هو الحل الجـذرى الوحيـد الـذى أعرفه .. »

راح الملك يفكر ، ومن جديد بدت له الفكرة معقولة .. هو لن يحتاج إلى الحكيم مرة أخرى. ثم هو لن يأتى بعمل جديد ، فقـد فعلها قبله ملك يدعى سنمار عندما أعدم المهندس الذى بنى لـه قصرًا منيفًا ، وكانت أسبابه أوهى بالتأكيد : منعه من بناء قصر آخر لواحد آخر... يجب ترك أخلاق العامة التقليدية للعامة ..

عندما جاء الحكيم استقبله الملك مع السياف وقال له ضاحكًا :

ـ « أحضرتك كى اقطع رقبتك ! »

تبادل الحكيم وعبير نظرات الرعب .. هذه هى مشكلة مصادقة علية القوم .. إن مزاجهم نارى وتقلباتهم كثيرة ..

ـ « لماذا ؟.. ماذا فعلت ؟ »

ـ « لأنك جاسوس يبغى قتلى .. »

هكذا يصدق القصة التى جاءت من طرف واحد .. لكن ألـف ليلة وليلة ترى هذا تصرفًا معقولاً ..

ـ « أهذا جزائى بعد ما شفاك الله على يدى ؟ »

ـ « لا مفر من قتلك .. أيها السياف ! »

وقفت عبير تولول .. سوف يقتلون الحكيم .. وبعـدها ربمـا جاء دورها .. لكن على الأرجح سيكتفى الملك بطردها .. مـاذا تفعل ؟.. كيف تنقذ الموقف ؟

دنا منها الحكيم وهمس :

ـ « لا مفر .. إن رقبتى مقطوعة .. فقط يجـب أن تسمعى ما أقول لك وتنفذيه حرفيًا .. »

ثم قال للملك :

ـ « أرجو أن تأذن لمساعدتى بأن تدبر أمورى مـع أهلـى وتستنقذ كتبى وأدواتى .. وسوف تأتى لك بكتاب مهم عنـدى .. كتاب يجب ألا يصل ليد العامة . لهذا الكتاب مزية عجيبة هى أنه لو وضعت رأسى جواره ثم عددت ثلاث صفحات ، وقـرأت أول سطور فى ثالث صفحة ، فإن الرأس يكلمك ويرد على أسئلتك .. »

ـ « هل تحاول خداعى ؟ »

ـ « أنا ميت .. والميت لا يحاول خداع أحد .. »

صاح الملك فى سرور طالبًا أن يساعدوا (عبير) على إنجاز مهمتها .. لقد تحرك بداخله الطفل الموجود فى كل ملوك ألف ليلـة وليلة .. لو استطاع لقتل الحكيم الآن لكن الكتاب غير موجود ..

تم الاستعداد لكل شىء ، فأحضر الحكيم الكتاب وطبعًا طلـب من الملك أن يضع رأسه فيه بعد القطع ..

تم الأمر بسرعة ... السياف بارع حقًّـا .. لكـن (عبيـر) بصراحة لم تعد تتحمل المزيد من الرءوس المقطوعة فى هـذه القصص ..

أما الملك فوضع الرأس فى الطبق ، وفتح الكتـاب .. كانـت الصفحات ملتصقة فبلل اصبعه وفـتح أول صـفحة .. الثانيـة ملتصقة .. اضطر من جديد لأن يبلل اصبعه ..

ـ « لا توجد كتابة .. »

قالت عبير:

ـ « استمر فى التقليب يا مولاى .. »

بلل الملك إصبعه من جديد .. كان السم الذى استعملته عبيـر على الصفحات من مادة راتنجية صمغية .. لهذا اضطر الملك إلى وضع إصبعه فى فمه مرارًا.. لقد تلقى جرعة مضاعفة ..

سقط الملك ميتًا جوار رأس الحكيم.. هنا أنشد الرأس :

ـ لو أنصفوا أنصـفوا لكن بَغَـوْا
فبغى عليهم الدهر بالآفات والمحن
وأصبحوا ولسـان الحـال ينشدهم
هـذا بذاك ولا عتـب على الزمـن

وعندما غادرت عبير القاعة لم يعترض طريقها أحد .. كان الجميع فى حالة ذهول .. بسبب هذا الانتقام المخيف من رأس مقطوع ..

* * *

الآن كانت قد وصلت فى قصة الأحدب والخيـــاط إلــى أخـوة المزين ذوى الحظ العاثر ..

قدرت أنها مع الكثير مـــن المـــط والتثـــاؤب وقـــول الـــشعر والوصف المبالغ فيه ، قد تستطيع أن تمد القـــصة ثلاثـــة أيـــام أخرى .. بعدها لن تجد زادًا ..

وكان شهريار متحمسًا وعينـــاه تلمعـــان .. معنـــى هـــذا أن الأدرينالين يتدفق فى دمه .. مـــن الـــسهل علـــى مـــن يتـــدفق الأدرينالين فى دمه أن يقطع الرقاب .. لابـــد مـــن أن تتـــصرف بسرعة ولو اعتمدت على رصيدها الضئيل ..

الآن صارت لديها قصتان لا بأس بهما .. لكنها لا تعرف كيف تربطهما .. دعك من تفاهة قصة الصياد والعفريت ، فقد تم القتل قبل أن تبدأ القصة ..

عادت عبير إلى الشط .. شط بركة هـــذه المـــرة.. وجلـــست تراقب مجريات الأمر.. من جديد رأت صيادًا يلقى بشبكة ..

نظرت حولها فتوارى ذلك الذى كان يراقبها فجأة .. نفس الرجـــل شبه الأجنبى الذى يتبعها فى كل مكان .. ليس جالان ولا كورساكوف .. ربما هو بيرتون ؟.. إن بيرتون يجيد التنكر كتاجر عربى ، وقـــد دخل مكة متنكرًا كتركى من قبل .. لكن لماذا يفعل هذا الآن ؟

تعلمت مما رأته أن مراقبة الصيادين تثمر قصة دائمًـــا ، لـــذا انتظرت قرب العجوز .. ثم وجدت أنه من الأفضل أن تجلس جواره .. لمحها فأحنى رأسه وقال فى احترام واتضاع :

ـ « أنا صياد فقير .. »

ـ « وأنا أبحث عن قصص حتى لا تطير رقبتى .. »

عندما جذب الشبكة كف عن الكلام .. كان المشهد رائعًـــا لأن الشبكة كانت تحوى أسماكًا ملونة زاهية .. بيـــضاء وصـــفراء وحمراء .. ما هذا ؟... هل صارت البركة بحيرة استوائية فجأة ؟

شهق الصياد فى حماسة ، فقالت عبير :

ـ « تحتاج إلى فلتر وموتور هـــواء .. ربمـــا تحتـــاج إلـــى (دوّادة) كذلك لإطعام السمك .. »

قال ضاحكًا :

ـ « لا .. هذا السمك ليس لاستعمالى .. بل هو هدية للملـــك شخصيًا .. سوف يجزل لى العطاء .. »

وملأ إناء كبيرًا بالماء ووضع فيه السمك ، ثم هـــرع وهـــى خلفه إلى قصر الملك ..

لم يكن الملك هو هارون الرشيد وقتها .. على كل حـــال هـــو شخص يمكن أن ينبهر بهدية كهذه ، وقد فتح الحراس الطريـــق للوافدين .. ورأى الملك السمك فأطلق صرخة انبهار عظيمة ..

ـ « سمك ..!.. سمك ملون رائع الجمال ! »

قال الصياد فى سرور:

ـ « أظن أنك يا مولاى تنوى جعل هـــذا الـــسمك نـــواة لأول متحف أحياء مائية فى بغداد ! »

ـ « بل سأفعل ما هو أكثر .. »

ـ « ربما سوف تهديه لكلية العلوم ؟ »

ـ « بل سأقليه ! »

طريقة مبتكرة غريبة بعض الشىء للتعبير عن الانبهار .. وقد نظر بعينين ناريتين لعبير وأمرها بأن تأخذ السمك للمطبخ وتتبله وتقليه . لم تجرؤ على الاعتراض أو قول إنها ليست جارية عنده ..

ـ « أعطوا الصياد 400 دينار ! »

اتجهت للمطبخ مغتاظة .. حتى أمها لم تنجح فى جعلها تنظف السمك فى عالم الواقع .. لكنها هنا مضطرة لذلك . بدأت تنظفـــه من الأحشاء ـــ وهى عملية قذرة طبعًا ـــ ثم تبلته ووضعته فـــى وعاء الزيت ..

طش ش ش ش ش !

هنا حدث شىء غريب ..

لقد انشق الجدار فجأة .. حتى خطر لعبير أنهـــا فـــى قـــصة سندريلا وأن الجنية الطيبة سوف تبدل بثيابها ثيابًا تناسب الحفل .. سقطت على الأرض وقد فقدت ساقاها تماسكهما ..

ما رأته عبير يخرج من الجدار كان (صبية رشيقة القد أسيلة الخد كاملة الوصف ، كحيلة الطرف بوجه مليح وقـــد رجـــيح ، لابسة كوفية من خز أزرق وفى أذنيها حلق وفى معاصمها أساور ، وفى أصابعها خواتيم بالفصوص المثمنة وفى يدها قضيب مـــن الخيزران) .

غرست الصبية القضيب فى الزيت وصاحت :

ـ « يا سمك .. يا سمك .. هل أنت على العهد مقيم ؟ »

يبدو أنها تخلط بين هذه القصة وسـنوهوايت حيـث النـداء الشهير (يا مرآتى .. يا مرآتى). المهم أن السمك المقلى أخرج رأسه من الزيت وقال بصوت سمك لا شك فيه :

ـ « نعم .. نعم .. إن عدت عدنا وإن وافيت وافينا .. »

ثم احترق السمك وتحول إلى فحم ....

وغابت الصبية فى ثقب الجدار من جديد ...

كانت عبير تحاول أن تستجمع روعها عندما رأت الوزير يقف خلفها ويقول :

ـ « الملك ينتظر السمك ! »

حقًا غريب أمر هذا الملك الذى ينتظر السمك المقلـى بهـذه اللهفة ، لكن (عبير) بالتأكيد كانت فى موقـف بالغ السوء .. لا أحد يحرق سمك الملك ما لم يكن مجنونًا أو يريد الانتحار ..

لسبب ما حكت عبير قصتها للملك ، فصدقها .. طلب أن يأتيه الصياد بمزيد من السمك ليكرر التجربة ..

وهنا تمارس ألف ليلة وليلة عنصر التكرار .. ما رأته عبيـر يتكرر بالضبط مع الوزير .. وما رآه الوزير يتكرر مع الملك ..

نفس القصة .. انشقاق الجدار .. الـصبية .. القـسم الـسمكى الغامض ..

هنا كانت القصة قد استحوذت بالكامل على تفكيـر الملـك .. لهذا أحضر الصياد من جديد .. الصياد الذى سئم القـصة كلهـا وتمنى أن يتخلص من هذا كله ..

ـ « لابد أن نرى تلك البركة العجيبة التى تصطاد منها .. »

وفى هذه المرة عاد الصياد إلى البركة كديك مبتـل بالمـاء ، فمن خلفه الملك وجيش كامل مسلح وعبير طبعًا ...

قال فى نفسه إن هذه القصة لن تمر على خير .. هنـاك رأس سيقطع فى هذا اليوم على الأرجح ..

13 ـ سمك ورجل نصف حجرى ..

قال الملك لعبير همسًا حتى لا يسمعه الرجال الذين انتشروا بين الخيام:

ـ « أريد أن أدور حول هذه المنطقة .. لا أستطيع أن أذهب بنفسى ، لهذا أرجو أن تذهبى أنت لاستكشاف المكان .. قلبى يحدثنى بأن هناك لغزًا فى هذه البركة .. »

ملاحظة ذكية فعلاً... سمك يخرج رأسه ويتكلم ، وهذا يجعل قلبه يحدثه بأن هناك لغزًا ..

هكذا مضت (عبير) وحدها فى تلك الرحلة .. مشت كثيرًا جدًا وهى تحمل سلاحًا صغيرًا وطعامًا وتحمل مخاوف عديدة .. بالطبع لم يفارقها الشعور بأنها مراقبة .. لقد اعتادت أن تشعر بتلك النظرات من خلفها .. بالطبع لو التفتت فلن تجد شيئا أو ستجد ذلك الأجنبى الغريب ..

أمضت ليلتها فى الخلاء على شط البركة .. أشعلت نارًا تصطلى بها ، وقدرت أنه لن يحدث لها مكروه .. الأهم هنا أن تكتمل القصة فلا مجال لظهور سفاح نساء أو غول ..

واصلت السير حتى ظهر اليوم التالى عندما رأت تلك القلعة السوداء ..

دقت الباب العملاق مرارًا ثم عمدت إلى النداء لكن لا إجابة ..

كان الباب مواربًا والإغراء قويًّا .. على ما تذكر فإن القصص التى يدخل فيها البطل إلى قلعة الغول ليست ضمن ألف ليلة وليلة .. هكذا دخلت فى حذر والخنجر فى يدها ، عالمة أنها عاجزة تمامًا عن استخدامه ببراعة لو حدث شىء ..

وسط القصر كانت هناك فسقية .. عليها أربعة سباع من الذهب تلقى الماء من أفواهها ..

صوت بكاء .. هذا مؤكد ..

انتصب شعر رأسها فاتجهت نحو مصدر البكاء ..

فى حذر أزاحت ستارًا فرأت سريرًا .. فوق السرير يجلس شاب تنطبق عليه علامات الوسامة فى ألف ليلة وليلة (شاب مليح بقد رجيح ولسان فصيح وجبين أزهر وخد أحمر وشامة على كرسى خده كترس من عنبر) ..

كان نصفه الأسفل مغطى بالملاءة الموشاة بالذهب .. وكان يمارس عمل الشباب فى ألف ليلة وليلة : يبكى بلا توقف وينشد الشعر ..

قالت له فى دهشة :

ــ « من أنت ؟.. وما سر هذا السمك ؟ »

لم يرد ...

ببطء رهيب أزاح الملاءة عن نصفه السفلى فأشاحت بعينها خجلاً ، لكن ما رأته جعلها تنظر من جديد .. إن النصف السفلى للفتى من حجر ! كأن نصف ميدوسا نظرت له فجمدته ..

قالت عبير لنفسها إن ألف ليلة وليلة تحوى اجزاء مرعبة بالتأكيد ..

اقتربت من الشاب الدامع قليلاً ، فقال :

ــ « لى قصة .... »

ــ « لو كتبت بالإبر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر .. أعرف هذا . أرجو أن تكمل .. »

ــ « كنت سلطان هذه المدينة ، فلما توفى أبى تزوجت ابنة عمى ... عشنا حياة سعيدة باسمة. حتى جاء يوم نمت فيه على حجر جاريتين من جوارى .. »

ابتلعت عبير ريقها وسألت :

ــ « أنت زوج عاشق وكنت نائمًا على حجر جارية ؟ »

ــ « نعم .. هنا سمعتهن يتكلمن عنى .. يحسبننى نائمًا. كن يحكين كيف أن زوجتى خائنة شريرة وكيف أننى غافل .. إنها تخدرنى بمنوم فى الشراب كل ليلة وتخرج ...

« عندما صحوت جاءت زوجتى المحبة وقدمت لنا العشاء ثم صبت لى كأسًا .. تظاهرت بأننى شربت ما فيه وسكبته فى عبى ، ثم تثاءبت وتظاهرت بالنوم . سمعت زوجتى اللطيفة المخلصة تقول : نم .. ليتك لا تصحو أبدًا ! ثم لبست ثياب الخروج وخرجت .. »

هذا المنظر يتكرر كثيرًا فى الأساطير على كل حال ، وفى الأساطير الإغريقية بالذات ..

عندما تبع الشاب زوجته رآها تتجه إلى قصر خارج المدينة ، فتدخله .. بالداخل كان عبد أسود عملاق يجلس فى انتظارها ، فركعت ولثمت الأرض بين قدميه ..

شعرت عبير بدهشة .. إن العبد الأسود شرير خائن كمعظم قصص ألف ليلة وليلة ، وهى نظرة عنصرية قد تقبلها فى قصص غربية ، لكنها غريبة هنا فعلاً ..

لقد أصيب الشاب بذهول وهو يرى ابنة عمه الرقيقة المخلصة تتوسل لهذا العبد وتقبله مسترضية ، بينما هو يسبها بأغلظ القول لأنها تأخرت عنه .. سلسلة شتائم لو جرؤ هو على استعمال كلمة واحدة منها لطلبت الطلاق ..

سألت عبير الفتى :

ـ « لحظة .. تقول إنها ابنة عمك ؟.. وهى كذلك ساحرة كما هو واضح .. »

ـ « نعم .. وما المشكلة ؟ »

ـ « ما هى الجذور التى أدت بها لهذا ؟.. ما خلفيات شخصيتها ؟ »

ضحك الفتى كثيرًا برغم ألمه وقال :

ـ « دعك من كلام النقاد هذا .. أفعال مبررة وسيكولوجية الشخصية وتاريخها .. نحن فى ألف ليلة وليلة المخصصة أصلاً لإمتاع الخيال الشعبى .. المقاييس النقدية هنا لا وجود لها ..إنها شريرة وكفى.. أشرار ألف ليلة وليلة أشرار من البداية ولا يحملون أى ظل رمادى .. الأخيار كذلك .. »

لما نام الخائنان نهض الشاب ، فحمل سيفه ورفعه وهوى على عنق العبد الأسود .. ثم فر .. هذه هى المشكلة الدائمة. عليك عندما تقتل أحدًا أن تتأكد من أنك فصلت الرأس .. هناك دائمًا من يقدر على توصيل الأنسجة ..

جاء الصباح ومعه عادت ابنة العم إلى بيتها ، لكنها كانت شاحبة دامعة تحيط بعينيها هالات تذكرك بالراكون ، وارتدت السواد ..

قالت لزوجها الذى تظاهر بالدهشة :

ـ « هذا الحداد من أجل أمى التى توفيت الليلة .. وأبى الذى مات فى الجهاد .. وأخوى اللذين مات أحدهما ملسوعًا والآخر رديمًا !.. »

هكذا ببساطة تريد إقناعه أنها فقدت أربعة من أهلها فى ليلة واحدة .. لكنه تظاهر بتصديقها .. والأدهى أنها أرادت أن تبنى ضريحًا للحزن تمضى فيه وقتها .

الحكاية أنها نقلت العبد ـ الذى قامت بتوصيل رقبته بطريقة ما ـ إلى الضريح ، وحولته إلى زومبى تطعمه وتسقيه وتبكى جواره ..

لما عرف الشاب هذا جن جنونه .. وعرفت هى أنه هو الذى قطع عنق العبد حبيبها .. كان انتقامها سـريعًا .. رددت بعض الكلمات وسرعان ما وجد الفتى أن نصفه السفلى تحول إلى حجر .. لقد صار قعيدًا للأبد بأقسى طريقة ممكنة ..

الآن تخرج ابنة العم الساحرة كل ما كانت تخفيه من شـر .. لقد خرجت كالطوفان الغاضب إلى العالم الخارجى ، فسحرت كل سكان المدينة .. المسلمون سـحرتهم إلـى سـمك أبـيض .. النصارى صاروا سمكًا أزرق .. المجوس صاروا سمكًا أحمر .. اليهود صاروا سمكًا أصفر ... بالطبع لم تـسمح لأحـد بتـرف اختيار اللون الذى يفضله .. لو كانت لهـذه القـصة موعظـة أخلاقية فهي: لا تتزوج ابنة عمك أبدًا .

بعد ما انتهت من هذا ، بدأت تقتبس من الـزملاء الإغريـق بعض الأساليب .. مثلاً اقتبست عقـاب برومثيـوس المتجـدد ، فراحت تجلد الفتى مئة جلدة يوميًا (على نصفه اللحمى العلـوى طبعًا) .

كان الفتى يبكى بلا توقف وهو يحكى هذا لـ (عبير) وتوسل لها أن تنقذه .. وكانت قد فكرت فى خطة معقولة ..

ـ « إن العبد الأسود هناك فى الضريح .. »

آى !.. هذا أسوأ جزء فى القصة .. تقتل إنسانًا وهو أقـرب إلى زومبى كذلك .. إن قتل كائن بشع عملية بـشعة بـدورها ، وكل من جرب قتل برص عملاق عرف هذه الخبرة ..

لكن هذا هو السبيل الوحيد لتحرير الشاب وتحرير سكان البلدة .. هكذا وجدت على الجدار سيفًا معلقًا فحملته . تبًا .. إنـه ثقيـل كالخرتيت ..

مضت ماشية وهى تقدم رجلاً وتؤخر أخرى ..

هناك فى ذلك الضريح كان جالسًا وظهره لها .. دنت منه أكثر .. عملاق مخيف ، ولو كان بكامل لياقته فقد انتهى أمرها .. لكنـه كان واهنًا يرتجف ..

عندما صارت على مسافة متر استدار لها ..

كان رأسه بالفعل لا يتصل بجسده إلا بجلد واه ضعيف .. كان يتأرجح ومن حين لآخر يسقط إلى جانب كرأس دمية .. لكن من الواضح أنه كان قادرًا على البلع لأنه كـان يحمـل كأسًـا مـن الشراب ..

رآها فاتسعت عيناه الواسعتان أصلاً ، واحمرت عيناه وأصدر خنفرة عنيفة .. تذكرت مشهد مواجهة الزومبى فى كل أفلام الرعب التى رأتها .. لا يختلف الأمر كثيرًا ، والزمبى مهما كان بطيئًا يلحق بك ويلتهمك مهما فعلت ..

هوت بالسيف على عنقه ولم تعط نفسها فرصة التردد ، ثم أدارت وجهها بعيدًا كى لا ترى المشهد ... لا . لابد أن تتأكد .. فما فعله الفتى من قبل هو أنه رحل قبل أن يتأكد ...

بصعوبة بالغة جرت الجثة مترين بعيدًا ..

ثم أنها جلست فى مكانه وهى تحاول ألا تلوث قدميها بالدم .. كان الظلام دامسًا والرؤية عسيرة ، وكان قبل موته يضع عباءة على كتفيه العاريتين ، لذا وضعت نفس الغطاء على كتفيها ، وأدارت ظهرها للجالس ..

تسمع صوت الخطوات الرشيقة .. تشم العطر الفواح . هناك من تدنو منها من الخلف ..

راحت عبير تئن وغيرت صوتها ليناسب عملاقًا أسود مقطوع الرأس ..

قالت للساحرة بهذا الصوت الغريب :

ــ « انصرفى عنى يا ملعونة .. لا أريد أن أرى وجهك .. »

جاء صوت الساحرة المذعور:

ــ « ماذا دهاك ؟.. ماذا قارفت فى حقك يا حبيبى ؟ »

ــ « قارفت ؟.. لقد ملأت البلاد بالتعاسة والبؤس ، والنتيجة هى أنهم لا يكفون عن البكاء ويحرموننى النوم .. سكان البلدة وذلك الشاب حجرى القدمين .. هذا كثير فعلاً.. أريدهم أن يخرسوا !! »

ــ « يمكن أن أعالج هذا حالاً .. »

ثم أخرجت قارورة صغيرة من صدرها فعزمت عليها .. واستردت سحرها الذى ألقته على الناس وعلى الفتى .. وفى البركة تحولت الأسماك إلى بشر .. صحيح أن معظمهم ماتوا غرقًا على الفور لأنهم لا يعرفون السباحة ، لكن المبدأ هو المهم ..

ومن محبسه جاء الفتى يتواثب غير مصدق .. كان يحتاج لساعات حتى يزول التنميل فى قدميه لكنه لم يجد وقتًا لهذا الهراء .. صاحت به ابنة عمه الساحرة فى اشمئزاز :

ــ « هيا ارحل ودعنا لا نر وجهك أبدًا ! »

واستدارت لتكمل كلامها ، لكن السيف كان فى طريقه لعنقهـا .. من المؤسف أنها لم تجد الوقتَ الكافى لتفهم أن (عبير) كانـت هى التى تلعب دور العبد ..

وعندما سقط الرأس على الأرض عرف أهـل البلـدة أنهـم تحرروا ..

لن يحصل الملك على سمك ملون بعد اليوم ..

14ـ إنهم يسرقون قصصى ..

عندما جلست عبير مع المرشد ترتب القصص التى مرت بها ، كان هناك أكثر من مخطط فى ذهنها ، ودار جدل طويل .. فـى النهاية استقرت على التركيب التالى :

1 ـ قصة محورية حول شهريار ودنيا زاد التى تعده بقـصة مثيرة جديدة .

2 ـ هنا تبدأ قصة الصياد والعفريت .. سنجرى تعديلاً يقضى بأن يتوسل الصياد للعفريت ألا يقتله حتى لا ينال جزاء الملك يونان ..

3 ـ هكذا يمكن أن نحكى قصة الملك يونان والحكيم .. هنـا مغزى أخلاقى يبرر هذه القصة.

4 ـ نعود للصياد والعفريت . الخدعة البارعة للـصياد التـى تجعل العفريت يتوسل . فى تعديلنا لن يقتل العفريت الصياد ، بل سيصحبه إلى البركة التى يخرج منها سمك ملون .. بهذا دمجنا صيادين معًا .. ومن هنا تبدأ قصة السمك الملون والشاب الـذى تحول نصفه السفلى إلى حجر .. بما أن البطولة النسائية غيـر محببة للذوق الشعبى فى عصر ما قبل (لارا كروفت) ، فلسوف يقوم الملك بالمغامرة كلها وقتل العبد والساحرة .

5 ـ نعود لشهريار ودنيا زاد مع وعد بقصة أخرى .

فرحت عبير بهذا التعديل جدًا وكتبته حتى لا تنساه .. لعلهـا بشىء من الإطناب تظفر بعشر ليال من السرد. وعندما عـاد شهريار فى المساء وتمدد على الفراش وراح يتجشأ .. دنت منه دنيا زاد التى تحول دورها إلى جهاز تلفزيون ، وبدأت تحكى :

ـ « بلغنى أيها الملك السعيد أنه كان رجل صياد وكان طاعناً فى السن .. وله زوجة وثلاثة أولاد وهو فقير الحال .. وكان من عادته أنه يرمى شبكته كل يوم أربع مرات لا غير .. ثم أنه خـرج يومًا من الأيام فى وقت الظهر إلى شاطئ البحر وحط معطفه .. وطرح شبكته وصبر إلى أن استقرت فى الماء .... إلخ .. »

* * *

كانت جالسة فى المخدع بعد يومين راضية عن نفسها ، عندما سمعت الخطوات المميزة للمرشد .. كان قادمًا يجتـاز طبقـات الستائر الكثيفة حتى بلغها فجلس على حافة الفراش ..

كان مرهقًا غارقًا بالعرق وكان يحمل كتيبًا سميكًا فى يده ..

على الغلاف رأت عبير الصورة المميزة لشهرزاد وهى تحكى لشهريار قصة جديدة .. لكن العنوان كان بلغة غريبـة .. كـان بالعبرية .. بحروفها القبيحة الشبيهة بأرجل العناكب ..

قالت له فى عدم فهم :

ـ « هل ترجموها للعبرية ؟ »

قال لاهثًا وهو يناولها الكتاب :

ـ « ليس بالضبط .. بل قاموا بتأليفها ! »

بدا عليها الغباء .. عم يتكلم بالضبط ؟.. تأليف ما قامت هـى بتأليفه ؟.. قال فى إرهاق :

ـ « من عادة إسرائيل أن تنسب كل شىء لنفسـها .. بـدءًا بأهرام مصر التى يزعمون أنهم بُناتها. كما قـال المفكـر عبـد الوهاب المسيرى إنهم يعلنون فى كل مكـان أن الكبـاب أكلـة يهودية .. الكوشير ـ طعامهم الحلال ـ اسم مسروق ومحـرف من الكشرى الذى نأكله .. يحاولون إثبـات أن لـديهم حـضارة عريقة ، ولكى يفعلوا هذا يسرقون حضارة راسخة بالفعل. هناك مركز دراسات فى تل أبيب نشر أعمال العبقرى (كامل الكيلانى) على زعم أنه يهودى إسرائيلى . الكيلانى هو من بسط قـصص ألف ليلة وهذبها للأطفال ، وهو اسم يفخر به الأدب العربى كله. مؤخرًا صدر كتاب لباحث اسمه د. جمال شاكر البدرى .. اسـم الكتاب هو (اليهود وألف ليلة وليلة) . وفى هذا الكتاب يؤكـد المؤلف أن ألف ليلة وليلة عمل كتبه اليهود. حجته فى ذلـك أن

كتاب ألف ليلة وليلة ظهر فى فتـرة ازدهـار اليهـود الثقـافى والاقتصادى أى فى بعض فترات العصر العباسى والفاطمى ! »

هتفت عبير فى دهشة :

ــ « لكن الجو الإسلامى العباسى واضح جدًا فى ألف ليلة وليلة .. إنها مليئة بالمجون لكنها برغم ذلك معجونـة بـالفكر العربـى والإسلامى .. »

ــ « رأى كذلك أن ألف ليلة وليلة تستعمل لفظة (ملك) أكثر مما تستخدم لفظة (خليفة) أو (أمير المؤمنين) وهذا فى رأيه دليل كاف على يهوديتها !.. وهو يرى أن شـهرزاد شخـصية نسائية يهودية بوضوح شديد .. تنقذ بنات جنسها كما أنقـذتهن أخت زوجة كورش التى طلبت منه عودة بنـى إسـرائيل إلـى أورشليم !.. ويرى كذلك أن (شهرزاد) هـو الاسـم الرمـزى للبطلة اليهودية (أستير) وشهريار هو اسم (أحشويرش) ! »

هتفت عبير فى ذهول :

ــ « هذا كذب صريح .. »

ــ « لكن هذا لا يقارن بظهور قصصك بالعبرية ، مع مقدمـة تقول إنها الأصل الذى حاول العرب أن يخفوه .. »

راحت تتذكر . نعم .. ذلك الوجه الأجنبى الذى يلاحقها فى كل مكان ويتنكر كالعرب ..

ــ « هناك جاسوس يتابع مغامراتى كلها ... أنا واثقة من ذلك . بل إن هناك من يتنصّت على قصصى التى أحكيها لشهريار ليلاً .. »

ــ « كل ما كان عليه هو النسخ والتوقيع .. إنه لرجل سـعيد الحظ .. »

ثم بدت على وجهه الصرامة والجدية .. وقال لها وهو يطوى الكتاب تحت إبطه :

ــ « سوف تستمرين فى عالم ألف ليلة وليلة لكن عليـك أن تضللى الوغد .. وأن تضعى أشياء تثبـت أنـك صـاحبة هـذه القصص .. لعبة ملكية فكرية من دون شـهر عقـارى ولا دار محفوظات .. إن هذا سهل ... »

ــ « لا أراه سهلاً .. كيف ؟ »

فكر قليلاً فى حماسة .. ثم قال بصوت عال :

ــ « لا أعرف ...! »

انتهى بحمد الله الجزء الأول (ليال عربية)

الباقى فى الجزء الثانى (قصة كل ليلة)

نادى المحاربين الجدد

الآن نصل إلى نادى المحاربين الجدد الذين لوحوا برمـــاحهم وأطلقوا صرخة واحدة ، واندفعوا بخيولهم يطاردون الشمس من أجل فانتازيا .. سنابكها تبعثر النقع فى كل مكـــان ، وصـــهيلها يصم الآذان .. المشهد يثير الرهبة والإجلال فى النفس ...

نبدأ اللقاء مع الشعر .. أشعار ناضجة ومحكمة للمترجمة التى لم أعرف أنها شاعرة من قبل (ريهام زكريا) :

سميتك أجمل أحلامى
يا فجرا لاح بأيامى ..
يا قمرا يرسل فضته
ليبدد فى الليل ظلامى
سميتك قطعة موسيقا ..
حملت أنغام الأنغام
لو غاب الشعر عن الدنيا
ستظل ـيقينا مولايـ
عيناك منابع إلهامى
شفتاك نصال من ورد

وأنا اعلنت استسلامى
فدعنى أنهل منها الشهد
برغم عنيف الآلام
ودعنى أهواك فقلبى
مذبوحك من ألفى عام
يارجلا أتعبت الدنيا
يا جرح التاريخ الدامى
يا رجلا يجتاح كيانى
مثل الإعصار المتنامى
من أجلك أعلنت جنونى
وتركت غرامك يغزونى
وكتبت شهادة إعدامى

ما رأيكم ؟... رائعـــة وأذنهـــا حـــساسة جـدًا ، وصـــورها وتعبيراتها شعرية فعلاً.. فقط أتحفظ على الوزن فى :

سميتك قطعة موسيقا .. حملت أنغام الأنغام

وأنا اعلنت استسلامى .. فدعنى أنهل منها الشهد

أعتقد أن الوزن اختل ..



قصيدة أخرى ؟.. طبعًا .. لدى الكثير :

هذه قصيدة لها طابع شعر المواعظ والحكم العربـى ، ومـن الواضح فعلاً أنها قرأت الكثير ولهذا سـأعفيها مــن نـصيحتى الأبدية بأن تقرأ أكثر:

لا تفش سرك للبعيد و إن دنا

فالسر إن عم الملا كثر الندم

واحذر بأن تلقى همومـك للذى

لا يستريح من التحدث فى العدم

كم مـرة أفشيت سرك دونما

قيد ، فعاركت الضمير ولم تنم

فالسر كنز فى الصـميم مخبـأ

إن صنته صنت الكريم من التهم

أطلق عنان القلب فى أفق اسما

وأرح فؤادك لحظـة مما يهـم

وابعــث بســرك للفضــا

فالكـون يستر ما يباح بلا قسم

وهذه قصيدة ثالثة .. أعتقد أنها الأخيرة لهذه المرة :

أحــب أمسى وأمسى اليــوم يؤلمنى

وأســكب الدمــع مدرارا لذكــراه

أقلــب الطــرف فى يومى وأســأله

ما أبعد اليــوم عــن أمسى و أدنــاه

بالأمــس أمــسى بلا همّ يســاورنى

يشدو الفؤاد إذا ما الليــل أضــواه

أرنو إلى نجمــة بالليــل أرقبهــا

يهوى لها من نــوى بالليــل مسراه

حمامة الأيك فوق الغصــن باكيــة

أشــكو لها الوجــد مــرا وهى تأبــاه

هــذا الزمــان تجنى أم نحــن نجهله

زاد التغيــر فينــا عمــا ألفنــاه

صديق هـــذا الزمــان يمل صحبتنا

الا القليــل متــى نحـظى بـــرآه

أين الصــديق الــذى بالأمس نألفــه

أين الصــدوق الــذى فى الحلم نلقــاه

راح الصــديق وراح الصــدق يتبعــه

حل النفــاق وحـب الذات يقفــاه



نشكو الزمان ونشكو جـــور سـطوته
والعيــب فينــــا إن قلنــــا ظلمنــــاه

ريهام فعلاً شاعرة ناضجة .. والأهم أنها مصرة فى عناد على الشعر العمودى الذى يوشك الجميع على تركه. فهى كالقابـضة على الجمر ، ولها تحياتى .

الآن مع المقال الذى يقدمه صديقى محمد بلال من المنصورة .. أرسل لى مجموعة مقالات كبيرة أكتفى منها باثنين :

البحث عن سعاد حسنى

أعشق كل ما ينتمى لزمن (الأبيض والأسود) ، فأنا أعشق أم كلثوم وعبد الحليم وعبد الوهاب ونجاة الصغيرة وحتى(الفيس بريسلى) و(البيتلز) . أحب هذا الزمن حـين كانـت الـشوارع أنظـف والأماكن أجمل والمصريون لهم احترام أكبر فى العالم كله وفـى مصر ،حين كان الموظف يحيا على ما يرام دون أن يعانى شظف العيش والطالب الجامعى مفعم بالآمال لا تـراوده ذرة شـك أن مستقبله واعد مادام قد التحق بالجامعة مهما كان تخصصه .

هذا العشق جعلنى أشاهد الأفلام القديمة على تفاهتهـا فقـط لأستعيد هذا العصر الحالم الثائر الجميل وأتداخل معـه بخيـالى لمدة قصيرة هى مدة الفيلم . أهم ما تعلمته من هذه الأفـلام أن الحياة الجامعية رائعة حقًا فحين تبدأ تنتهى المـذاكرة وتتحـول حياة الشاب الى الاهتمام بالسياسة والحب فقط فأحمـد رمـزى وشكرى سرحان وحسن يوسف كانوا يمضون الصباح والظهيرة فى المظاهرات ثم فى فترة العصر يرتدون القمـصان المفتوحـة حتى منتصف بطونهم ويركبون السيارات المكـشوفة الجميلـة ليطاردوا ــ طبعًا ــ الرائعة سعاد حسنى ! ولا تأتى سيرة الدراسة

طوال الفيلم إلا فى لقطة واحدة حين يأتى (سنيد البطــل) لــصديقه بالنتيجة ويقول له : مبروك يا أحمد ... نجحت يا بطل ! وهنا نعود لسعاد حسنى مرة أخرى فتكون الخطوة التالية هى الذهاب لأبيها لطلب يدها ، فإذا ما كان الفيلم حزينًا توجب حينها أن يكون الأب وغدا أصلع له شارب رفيع وجسد بدين ، يرتدى الــروب فــوق البدلة ويدخن السيجار ! ويقول له البطل الفقير : أنا طالب القرب منك يا عمى ! يقول الوغد : معندناش بنات للزواج ! أو : أنـــا أزوج ابنتى لهلفوت مثلك ؟! وفى الخلفية نسمع الموسيقى الحزينة ويخرج البطل من بيت حبيبته ليغنى (إن كان عبــد الحلــيم) ! أو(إن كان بطلا غير عبد الحليم) يذهب الى الخمارة ليسكر مع صديقة (سنيد البطل) ويظل يقول : مش عارف أنــساها مــش عارف أنساها وهو يضع الكؤوس الفارغة على المنضدة بعنف ! أما إن كان الفيلم سعيدا فيكون البطل ميسور الحال و حينهــا حــين يذهب لأبى فتاته ليجده مرتديا البدلة فقط بلا روب وشعره أبيض فخم جميل ، يفتح الأب علبة سجائره المعدنية ويعــرض علــى حسين شكرى سيجارة فيرفض حسين شكرى فى أدب ويقــول : لا أدخن يا عمى ! وحينها تنتفخ أوداج الأب ويقــول: عفــارم ! يبدو عليك أنك شاب مهذب وابن ناس ! ويتبادلان الحديث مــن

طراز : أنا مصدقك (بتفخيم الدال جدًا) وضحكات من طــراز : هأ .... هأ .... هأ ! ثم ينتهى الفيلم والبطل يقبل سعاد حسنى قبلة حارة جدا وأنا أحقد عليه جدًّا لأنه تــزوج هذه السمراء الرائعة !

أثرت هذه الأفلام فى تفكيرى أثناء مراهقتى الى حــد كبيــر ، ولأننى لا أجيد دور (سنيد البطل) فعندما دخلت الجامعة قررت أن أكون البطل....! وطال البحث عن سعاد حسنى فى قــصص حب فاشلة لأكتشف أن أمثال سعاد حسنى فى الحقيقة لا يصلحن للارتباط والزواج ، كما طال تعاطى السياسة بحماقة لأكتشف أنى أودى بنفسى للهلاك بينما من معى يستغلون السياسة كطريقــة تجعلهم مثيرين فى نظر البنات لا تختلف كثيرا بالنسبة لهم عــن ارتداء سراويل تكشف سراويلهم الداخلية ! كان نتاج هــذا أنــى رسبت سنتين فى الجامعة فلم يأت لى صديقى ليقــول : نجحــت يا بطل ! بل جاءت النتيجة من الإنترنت بما يسمى كارت النتيجة لأجد نتيجتى كرنفال جميل من الدوائر الحمراء مكتوب جوارهــا بخط نسخ متقن : ض.ج ثم كتابة توضيحية فى أسفل الصفحة : ض.ج = ضعيف جدًا ! وهكذا تعلمت أول دروس الواقع القاسى وهى أن الأفلام ليست صادقة أبدًا بل مليئة بـــالظواهر المــضللة

والأحلام الجميلة والقيم المغلوطة وأدركت تأثير الإعلام الفادح على أفكار الناس وخاصة المراهقين والشباب .

بعدما كبرت قليلا وقرأت عن الحرب العالمية الثانيـــة قــرأت مقولتين لجوبلز (وزير إعلام هتلر) أثارتا انتباهى فالعبقرى جوبلز كان يقول : إذا أردت أن تكذب فاكذب كذبة كبيرة يصعب تـصديقها ليصدقها الناس ، أما المقولة الثانية فهى : إننى كلمــا سـمعت كلمة ثقافة أتحسس مسدسى !!! بالطبع كان للإعلام دور كبيــر جدًا فى كل الحرب سواء فى تضليل الشعوب عن حقائق معينــة أو لإضعاف معنويات العدو والأمثلة كثيرة أذكر منها كمثال مــا حدث فى حرب 67 فى مصر من تضليل للشعب فى بداية الحرب وما حدث قريبا فى قضية غــزة حينمــا تــم تحويــل مــشاعر المصريين العدائية تجاه قطر ومنظمة حماس بدلا من الإسرائيليين والحكومات العربية المتخاذلة . هذه الأمثلة تتضح فيها كم هــى صحيحة وعبقرية مقولات جوبلز فأنت فى البداية تبعد الــشعب عن الثقافة ومن ثم لن يكون له المعرفة الكافية والمنطق المنظم لتفنيد ما يستقبل من معلومات فيتحول للتفكير بأذنية بــدلاً مــن عقله ، بعد ذلك توجهه كقطيع كيفما شئت بالكذب عليه كــذبات كبيرة يصدقها العامة بالطبع لأنه يبدو لهم أنه من الحذق والذكاء تصديق كل ما يبدو مستحيلاً كما أن تفكيرهم المشوش وعدم وجود رؤية خاصة للأفراد يجعل من الأسهل لهم أن يصدقوا أى فرقعة

عن أن يبحثوا عن الحقيقة بين ضباب الكذب والإدعاء المتقن جــدًا والمعمم جدًا حتى يكاد يكون اتجــاهًا وطنيًا أو شــعارًا . بهــذه المنظومة من الكذب المتقن والتدليس يتمكن أى نظام قمعى مــن توجيه مشاعر الشعب حيث يشاء ليسهل قمعه ، مثلاً لدينا فــى مصر استخدم الإعلام منذ الأزل الحيلة القديمة : فرق تسد! .ففى بدايات القرن كانت لعبة الأحزاب حيث يتم إشعال نار الفتنة بــين الأحزاب المختلفة ليتقاتلوا فيما بيــنهم ويتركــوا قــضية البلــد الأساسية منذ الأزل وهى : الفساد وانعدام الديموقراطية ، بعــد ذلك كان الانقسام الى شيوعيون وإخوان مــسلمين ثــم إخــوان مسلمين وأنصار سنة والآن الحيــلة المستخدمة هى التعــصب الكروى ! نعم فعدد البرامج المهتمة بكرة القدم أكثر مــن عــدد البرامج المهتمة بكل الأشياء الأخرى مجتمعة وهــذه البــرامج أغلبها لا شاغل له إلا إشعال نار الفتنة بــين مــشجعى الفــرق المختلفة والتهويل من كل حادث تافه وجعله قضية وطنية يــتهم البعض فيها بالخيانة و يخرج آخرون يتكلمون عن مصلحة مصر وإعلائها كأن تأهل منتخب مصر لكأس العالم مثلا كفيل بإشــباع الجوعى وتسكين المشردين وتشغيل العاطلين !!

* * *

المقال ممتع يا محمد لكنى اضطررت لبتره لأنه طويل جدًا جدًا .. لا أحد يتحمل مقالاً بهذا الطول أبدًا ، وما من كاتب يسيطر على مقال بهذا الطول ما لم يكن (هيكل) نفسه . بترت المقال عند ألـف كلمة تقريبًا لكن ما زال الباقى أطول .. هذه هى نصيحتى : أسلوبك ممتع .. أخطاؤك اللغوية قليلة ... أنت ثرثار جدًا ... لاتهتم بعلامات الترقيم لهذا جملك مرهقة جدًا تقطع الأنفاس بانتظار نهايتها ..

تعال نر المقال الثانى لك .. طوله معقول (نحو 700 كلمـة) ومن الواضح أن موضوعه حارق حساس .. ويدعى :

كربلاء كرة القدم

من السهل أن نكره الجزائريين ، بل لأول وهلة يبدو ذلك هو المنطقى. هم تمادوا فى التعصب المجنون والعدوانية ، هــاجموا المصريين فى السودان والجزائر وفرنسا فى غضب مجنون بينما المصريون ـ كالعادة ـ الشعب يكتفـى بالاختبـاء والحكومـة بالشجب والندب وتصريحات من طراز : (عيب كده .... العبـوا مع بعض يا ولاد) .. وأسعد الناس بهذه الكراهية هؤلاء الـذين يقبعون على الضفة الأخرى محتلين أرض فلسطين مهددين بهدم الأقصى ويرتكبون كل يوم مذبحـة جديـدة تـستحق كراهيتنـا وعدواننا ، هؤلاء سعداء فعلا بفرقة جديدة وعداء جديد داخلـى بين العرب يؤكد تشتتهم ويشغلهم عن عدوهم الحقيقى المشترك، ومن يقرأ الصحف الاسرائيلية سيرى كم نحن حمقى وكـم هـم شامتون فى حماقتنا ..

رأيت تسجيلا لشاب مشجع جزائرى يقول فيه إن ما بين مصر والجزائر من ود انتهى وأن هناك ثأرًا للجزائـريين المقتـولين بمصر، وأنه وأصدقاؤه سيذهبون الى السودان لأخـذه وكلهـم (صيع)لا أب ولا أم تبكى عليهم ... لهجة الشاب وهو يقـول :

(أقسم بالله ستدفعون ثمن ما فعلتم) .. ذكرتنى جدًا بلهجة المجاهدين الفلسطينين قبل أن يقوموا بعملية استشهادية ، نفس الغضب والحمية والتصميم ، هذا شىء غير طبيعى، نعم ، الجزائريون متعصبون كرويا جدًا ولكن لا أصدق أن الكرة وحدها هى ما أوصلت الأمور لهذا الانفجار النووى المجنون ، الكرة فقط كانت الصاروخ بعيد المدى الذى حمل الرأس النووية ، فرغم كل ما تغير فى أفكار وانتماءات ومشاعر الشعبين من حرب 73 الى الآن ، ليس من الطبيعى أن تكون مصر عدوة الجزائر وشعبها وأن يشعر الجزائريون تجاهنا بغل وكراهية كالتى تحمل تجاه الاسرائيليين من أجل مباراة كرة قدم ... هناك رسالة خاطئة وصلت للشعب الجزائرى مدسوسة فى إعلام مريض من المرتزقة وربما بطرق أخرى أيضًا لا نعلم عنها شيئًا ، الخلاصة أن الشعب الجزائرى وصلته رسالة أن الشعب المصرى قتل الجزائريين بالقاهرة وروعهم و هاجم اللاعبين ومؤكد أن ما وصل كان مبالغًا فيه بدرجة كبيرة ومدروس ، ولأن الشعب الجزائرى عصبى بطبعه ولأن الشعوب العربية عامة تنخدع بسهولة لتترك قضاياها الرئيسية وتعادى بعضها ، ولأن المسئولين فى كل من مصر والجزائر لم يكونوا بما يكفى من الذكاء كى

يدركوا أن هناك من تلاعب بمشاعر الشعبين ودس السم فى قلوبهم ولم يكونوا من الحنكة أن يستوعبوا الموقف ، كانت النتيجة أن تحولت الساحة الكروية الى كربلاء أخرى ولو أعطى المشجعون سلاحًا لفتكوا ببعضهم البعض ..

فى رأيى الشخصى كرة القدم الآن هى التى تستحق الكره الحقيقى ، وكما قال أحد الصحفيين الرياضيين من القلائل المحترمين : ملعون أبو الكرة التى تفعل بنا ذلك ...

القنوات المصرية والجزائرية استغلت الحدث كمصدر رزق ، طوال الفترة الماضية تذاع الأغانى الوطنية ويتم تعبئة الشعب لموقعة المباراة ، تعبئة لم نشهدها قبلا فى أى حدث مهم وتغطية إعلامية لكل صغيرة وكبيرة لم تحدث يومًا لأجل فلسطين أو العراق أو أفغانستان وكأن وطنيتنا تبدأ وتنتهى عند أقدام مجموعة من الشباب النصف موهوبين وكأن ذهابنا لكأس العالم سيجعل الحياة أفضل لأى فرد من الشعب غير لاعبى كرة القدم الذين سيتقاضون الملايين بينما الشعب كله يرسف فى فقر مدقع ، عندما سمعت أن مكافأة الفوز فى مباراة الجزائر الأخيرة كانت ستة ملايين لكل لاعب ، حمدت الله على الخسارة كى

لا يحترق دمى بمزيد من إهدار المال العــام ، مئــة وعــشرون مليونًا من الجنيهات ... يالهى .. كم مريضًا يمكــن أن يتعــالج بمبلغ مثل هذا ؟ وكم شابًا يمكن أن يتزوج ؟ وكم جائعًا يمكن أن يأكل ؟... إنه الجنون بعينه !

وبالطبع ليس معنى كلامى أنى أنكر حلاوة تشجيع كرة القــدم أو أنى لا أسعد بفوز المنتخب الوطنى مع الملايين ، فقــط أنــا أعرف أن هذه الفرحة فرحة مزيفة شكلاً وموضوعًا ، شكلاً حين تعطى هذا الحجم الضخم لمباراة كرة قدم الخسارة فيها لا تعنــى شيئًا والفوز فيها لن يجعلنا نتقدم فــى أى مجــال حيــوى مــن المجالات التى تحقق رفاهية وسعادة الشعوب ، ومزيفة موضوعًا لأن كرة القدم مهما بلغ الجنون بها ينبغى أن يتوقف عند كونــه جنونًا بلعبة ولا يتحول الى قضية وطنية وقومية ..

ولذا فأنا أحمل مسئولية أحزان هذا الشعب وعصبية الــشعب الآخر إلى أولئك الذين اختصروا وطنيتنــا فــى كــرة القــدم ومشاركتنا السياسية فى كرة القــدم بل اختصروا امكانية النصر والسعادة فى كرة القــدم ، أولئك الذين دمروا الوعى الــسياسى للشعب والشعور الوطنى الحقيقى للشعب حتى وصــلوا به إلــى

مرحلة اليأس من كل شىء آخر وأعطوه كرة القدم ملاذًا أخيــرًا للأمل .. ذلك الأمل الذى ينتهى ويبدأ عند صفارة الحكم .. فيالــه من بؤس وضياع ..

* * *

مقال جميل ومتعقل يا محمد .. أدعوك للاستمرار فى كتابــة المقال ، مع الدقة النحوية أكثر .. أرسلت لنــا عنــوان مدونــة يهمك أن نراها وهــأنذا أعيد نشرها:

www.mgala.com

وهذه نقطة مناسبة للتوقف عن الكلام المباح .. فإلى لقاء .

د. أحمد خالد



مشروع القرن الثقافى

روايات مصرية للجيب

فى كل رواية متعة دائمة

فانتازيا

مغامرات ممتعة من أرض الخيال



د. أحمد خالد توفيق

ليالٍ عربية

عندما تطالعين سيرة أى كاتب غربى تقريبًا ، فسوف تعرفين أنه قرأ ألف ليلة وليلة أول ما قرأ .. ونتيجة لهذا قرر أن يصير كاتبًا .

ما حدث هنا هو أن شهرزاد لم تعد موجودة ، والقصص لم تُستكمل .. النتيجة أن معظم الكُتّاب الغربيين لم يكتبوا حرفًا ! .. كيف تحكين قصصًا من الأدب الغربى بينما لا وجود لها أصلًا ؟ .. أنت كرجل يجاهد لبلوغ سقف بناية شامخة ، بينما البناية ذاتها لم يعد لها وجود ....

العدد القادم







